عندما تنتصر الإرادة

مؤسسة برامج الطفولة والعمل الجماهيري

تأسست مؤسسة برامج الطفولة والعمل الجماهيري في مدينة القدس، في العام ١٩٨٤م، بهدف العمل على تمكين وتنمية المجتمع الفلسطيني. وهي مؤسسة أهلية غير ربحية. تهدف مؤسسة برامج الطفولة إلى تحسين نوعية الحياة للمجتمع الفلسطيني من خلال البرامج التربوية والاجتماعية المتنوعة والحفاظ على الموروث الثقافي الإيجابي والهوية الوطنية الفلسطينية.

المحتوى

الموضوع

تقديم ـ الأستاذ فريد أبو غوش / مدير عام مؤسسة برامج الطفولة
المقدمة ـ السيدة يسرى محمد
المربية إخلاص حلوة :
انتماءٌ للطفولة
اعتدال السلايمة :
الجمع الابداعي بين العناية بثمانية أطفال والعمل في الميدان المجتمعي .
تهاني ابو غليون :
مؤسسة برامج الطفولة أضاءت لي طريق التعرف على هويتي القومية .
ختام ملّوخ :
من مهمشة إلى قائدة مجتمعية
رولا العلي :
الحياة مدرستي الحقيقية
سحر العيسوي :
انتصار على الظروف وتغير المكان
عبير الشمالي :
تجربتها الغنية مفتوحة امام كل نساء حيها
فايزة عناتي :
تعلّمت من مؤسسة برامج الطفولة ما لم اتعلمه من أحد
ميّسر ابو لبن :
مدرسة التعلّم مفتوحة الأبواب على امتداد العمر
ميسون خويص :
تنتزع الفرح من بين انياب البؤس
نسرين صيام :
مؤسسة برامج الطفولة أخرجتني من حالة الصمت
هناء صافي :
يحق لها الاحتفاء بنجاحها

تقديم

انـه لمـن دواعي فخري وسـروري أن أكتب هـذه السـطور القليلة وأن أشـارككم عبر هذه الصفحات ببضع قصص من واقع نساء وأمهات من مجتمعنا ، وهي قصص نجاح من بين مئات من القصص المماثلة التي تروي كيف ساهمت مؤسسة برامج الطفولة من إحداث تغيير جوهري في حياتهن و حياة عائلاتهن وسط مجتمع مهمش يفتقر للخدمات .

لقـد مـررن اولئك النسـاء بظروف صعبة أهمها تلـك القيود التي يفرضهـا عليهن المجتمع والعائلـة والوضـع السياسـي ، ولكن مع قليل مـن الدعم والاحترام وبعـد أن وجدوا أذناً صاغيـة ، قمـن بتحدي هذه العقبات وتسـلحن بـالارادة وفتحن الأبـواب الموصدة . وها نحـن اليوم نضع بين أيديكم اثنتي عشـرة قصة نجاح لاثنتي عشـرة امـرأة نجحن في تخطي الظـروف بالعـزم والارادة وصـولا الـى مسـتقبل واعد . ولا زلـت أذكر ما قالتـه لي احدا النسـاء المشـاركات فـي برامجنـا : «لقد كانت المؤسسـة اليد التـي أخرجتنا مـن الوحل ، وبدون دعمكم كنا حتماً سنغرق» . كي تتفجر القدرات الكامنة لدى من تسمح له ظروف الحياة بظهورها في بعض الأحيان كل ما يحتاجه الانسـان هو أن ينفض عنه غبار الظروف المعيقة حتى تتفجر قدراتنا الكامنة ، ومع القليل من المساندة والاحترام غير المشروط والثقة بقدرات الأفراد عندها ستظهر الطريق ممهدة نحو التقدم والنجاح .

فإلى كل هؤلاء النسـاء اللواتي التحقن ببرامج المؤسسـة ولايزلن حتى اليوم يسـرن بثبات وعزم على طريق التقدم والانجاز نهدي هذه التجارب الموثقة آملين أن تكون مثالا يحتذى والهاماً لنساء فلسطينيات اخريات .

فريد ابو غوش

مدير عام مؤسسة برامج الطفولة

عندما تنتصر الإرادة

يسرى محمد

لا يجـدر بالتربويـين او العاملين في حقل التمكين وبناء القدرات، ان يضعوا كل تركيزهم واهتمامهم في تسـليط الضوء على الظواهر السـلبية فقط، فهناك فـي مجتمعنا الكثير من الايجابي الذي ينبغي رصده وتشـخيصه وتوثيقـه، ليكون مثالا يقتدى به في العمل المثابر والاصـرار الذي يـؤدي حتماً الى النجـاح، اذا ما توافر للعامل الذاتـي، البيئة الموضوعية الايجابية الحاضنة والمساعدة.

قصـص النجاح التي نوثقها في هذا الاصدار، ونضعها فـي متناول القراء والمهتمين، كما ترويها نساء خرجن من واقع تقليدي إلى ساحة التعلم والعمل والابداع، ليسجلن بذلك قصـص نجاحهن، مـا كانت لتكون، لولا البيئـة التعليمية والتطبيقية التي وفرتها مؤسسـة برامـج الطفولة لهذه المجموعـة، التي تتذوق الآن طعم النجـاح، وتصر على النجاح من مرحلة الى أخرى، ومن تجربة الى تجربة أكثر تطوراً وعمقاً وغنى.

وإذا كنا في مؤسسة برامج الطفولة، نفاخر بهذا الانجاز، ونعتز بكل قصة نجاح، كتبنا فيها سـطراً أو جملة أو فقرة. أو رسـمنا فيها صورة باسمة متفائلة على انقاض صورة عابسة، مقيـدة، تئـن وجعاً وحيرة، فإننا في الوقت ذاته، نؤكد ان ما قدمناه في هذا الكتيب ما هو الا بعـض النمـاذج، بهـدف اعطاء كل ذي حـق حقه، ووضع قصص النجاح في سـياقها الزمنـي والمكانـي الصحيح، لتكـون قدوة ومحفزاً لنسـاء فلسـطينيات، لعلهن يتلمسـن الطريق وينطلقن الى ميدان التعليم والعمل والنجاح. علماً أن هذه القصص ليست كل ما في جعبتنا، فالذاكرة تزخر بقصص أخرى سترى النور لاحقاً في اصدارات أخرى.

ان توثيقنـا وتعميمنـا لقصـص النجاح هذه، لا يعنـي بأي حال من الأحـوال، ان بطلات قصص النجاح، قد حققن كل شيء، وأنهن يتربعن الآن على القمة، فلا قمة بعينها يمكن للمرئ أن يستريح فوقها ويضع نقطة ويقول لقد وصلت وكفى. فالقمة هي طريق الى قمة أخرى. فحياة الإنسان سلسلة من المحطات المتصلة، كل محطة تمهد للأخرى، وكل انجاز يدعِّم سابقه ويعززه، يتغذى معرفة ومهارة ويغذيه، فمن يدّعي الكمال والمطلق، سيجد نفسـه يتهـاوى الى نقطة البداية. ومن يقول إنني أنجـزت، فيما ينتظرني مزيد من الانجاز، فإنه سـيحقق نجاحات مسـتقبلية، تجعل منه انسـاناً مبدعاً، قادراً، متجدداً، وسيتسـنى له فـي المقابـل، تقديم فائـدة أكثر وأكثـر للمجتمع، في إطـار العلاقة التفاعليـة البناءة، بين الفـرد والجماعة، فلا نجاح بمعزل عن المؤسسـة والجماعـة، ولا جماعة حيوية فاعلة بمنأى عن افراد مبدعين ايجابيين، متحفزين للإسـهام بفعالية فـي خدمة مجتمعهم وتطويره في الميادين والمجالات كافة.

ومن يدعي ان المرحلة التي نعيش هي موشـحة بالسـواد، وانها مسرح مفتوح للسلبي فهو مخطـئ، فهناك مبادرات ونجاحات، وهناك من يسـهرون على تطوير امكاناتهم وبالتالي توظيـف هـذه الامكانات في خدمة مجتمع يعيش ظروفا خاصة واسـتثنائية، ويحتاج الى كل جهد واسهام.

لا نريـد مـن هـذا التقديم سـوى وضع الأمور فـي اطارها العـام. أما الخـاص في قصص النجاح، فالصحيح ان نعرفه ونتفاعل معه، حينما نقرأ القصص كما يروينها بأنفسهن من اشعلن شموعهن ليبددن ظلمة الظروف القاسية.

لقد قمنا بترجمة هذه القصص والنجاحات إلى اللغة الانجليزية بهدف تعميمها، ولتعريف الآخر بها، ونقلها إلى نطاق أوسع، للاضطلاع على هذه التجارب الحقيقية المصنوعة من دم ولحم وأعصاب.

المربية اخلاص حلوة:

انتماء للطفولة

«الطفولة بالنسبة اليّ ليست مجال عمل، أو مصدر دخل من خلال وظيفة أقوم بها. إنها حياة مستمرة متجددة، محببة، أمارسها كما لو أنني لم اغادر هذه المرحلة، بل أعيشها بشكل دائم».

بهذه الكلمات عبرت المربية اخلاص عن انشدادها لعملها في مجال الطفولة، ونحن نحاول الدخول إلى عالمها الخاص لنستخلص مكونات قصة نجاحها.

لمسنا من خلال حماسها وانتمائها، ان وظيفتها هي زمن مفتوح على الطفولة، وهي وسيلتها لكي تضع بصماتها التربوية في أطفال سيكون لهم بدورهم بصماتهم الخاصة في بناء المجتمع.

من عناتا إلى صوريف

تقول اخلاص «تزوجت وعمري ١٥ سنة من انسان صديق لأخي، فاضطررت ان انتقل من عناتا الى صوريف في محافظة الخليل، حيث يسكن أهل زوجي. عشت في هذه القرية ثماني سنوات. وهناك حاولت العمل كمربية، انطلاقاً من حبي الشديد لهذه المهنة، لكن الراتب كان لا يتجاوز الـ«٤٠٠» شيكل شهرياً، وقد شعرت ان ذلك يشكل استغلالاً لطاقاتي ووقتي، رغم حاجتي للعمل ورغبتي في التعبير عما اختزنه في أعماقي من حب للاطفال.

عـدت الى عناتا للسـكن قرب أهلي ، فعملت مباشـرة في مدرسـة بيـت المقدس . وكنت حينـذاك بـلا دورات تأهيليـة . بعـد ذلـك توجهت للعمـل في المركز النسـوي فـي مخيم شعفاط ، ومن هنا كانت انطلاقتي الحقيقية» .

النقلة النوعية

ومـن مرحلـة الى أخرى تسـتمر وتتجذر تجربة اخـلاص في عالم الطفولـة ، الذي تجد فيه مكانهـا الطبيعي . لكن التحاقها بدورة مربيات اطفال ، شـكل قفزة نوعية في حياتها وفي مسيرتها المهنية ، حيث تصف ذلك على النحو التالي :

«توجهـت للعمـل فـي المركز النسـوي فـي مخيم شـعفاط ، وتعرفـت هناك الـى موظفة ، تعمل مدربة للمربيات . وكان هذا اللقاء بالنسـبة اليّ فرصة ذهبية للالتحاق بدورة خاصة بمربيات رياض الاطفال .

كانـت الدورة بمـا حصلته منها نظريـاً وعملياً ، بمثابة الجسـر القوي المتين الـذي عبرت من خلالـه بثقـة وقوة الى هـذه المهنة . لم يعد دافعي للعمل هو حبي للاطفال وانشـدادي لهم فقط ، بل اضافة الى هذا ، اصبحت اسـتند الى معطيات وأسـس تربوية وعلمية ، جعلتني أنظـر الـى الطفولة ليس من منظار عاطفي فحسـب ، وانما ضمن رؤيـة تهدف الى الارتقاء بالطفل ، وتأسيسه بالمفاهيم الصحيحة المثبتة والمجربة تربوياً .

تعلمـت مـن هـذه الـدورة أهميـة الإبداع فـي العمل مـع الأطفـال وبخاصة فـي الفنون ، وأصبحت انتج انشـطة ووسـائل تربوية من مواد بسـيطة . لقد خرجت بخلاصة ان أجمل مـا فـي هـذه الدنيا هو الطفل ، ولكـي نبني مجتمعاً صحيحاً متماسـكاً ، علينـا أن نبدأ من الطفل ، فلا مجتمع سليم وصحي اذا لم نؤسس مداميكه الأولى من الطفولة» .

انعكاس الدورات على حياتها الأُسرية وتجربتها المهنية

الـدورات التربويـة والتطويريـة ، ارتقـت بمسـتواها المهنـي والاجتماعي لـ « اخلاص « . واصبحـت تتعامل مع الحياة بأسـاليب مختلفة ، بعيداً عن المعالجـات التقليدية التي تعتمد ردود الفعل ، حيث عبرت عن ذلك قائلة :

«أولاً لقـد شـعرت من خـلال الدورات بالتطـور الحقيقي ، وأخذ العمل فـي هذا الميدان ، يرتبـط فـي ذهني وتجربتـي بالعلـم والتربية ، أي ليس مجـرد حماس وحـب للطفولة كما كان حالي في سـنوات ما قبل الدورات . إذْ انعكسـت مشـاركتي في الدورات ايضاً على

مستوى أُسرتي، فأصبح دخلي أفضل من السابق، وهذا زاد من حصتي واسهامي في مصاريف البيت، الأمر الذي كان له تداعيات ايجابية على مستوى حياة أطفالي. اضافة إلى ان تعاملي معهم في البيت لم يعد مقتصراً على الزجر والتوتر، بل انطلاقاً من مفاهيم راسخة وتوجهات تربوية صحيحة، ما أشعر أطفالي بالراحة والأمان والاستقرار. أما على المستوى المهني فحدث ولا حرج فقد تخلصت من الخجل، وتعززت ثقتي بنفسي، وأصبحت قادرة على محاورة أهل الاطفال والتواصل معهم بخصوص كل ما يتعلق بأطفالهم وسبل الاعتناء بهم.

والحقيقة ان مشاركتي في منتدى المربيات قد وسع آفاقي المهنية، ولم أعد أُفكر في الروضة التي أعمل فيها فقط، بل أخذت أقارن أطفال روضتي بالاطفال الآخرين في روضات أُخرى. الى جانب احتكاكي بمعلمات أخريات، بما لذلك من فوائد في التأثر والتأثير. فلا أحد يستطيع الادعاء ان تجربته مكتملة، فكل مربية لديها ما يميزها، وان التفاعل بيننا يجعلنا نتكامل».

نشاطات وفعاليات مجتمعية واسعة

اللافت في تجربة اخلاص، انها اليوم تجربة منوعة ومتشعبة وحيوية، ذات أبعاد مختلفة. فالعمل في الطفولة فتح لها الباب على مجالات أخرى، فهي قادرة الآن على تقديم محاضرات توعوية في الطفولة، بخاصة بعد ان تعرفت على مؤسسات من المجتمع المحلي مثل مؤسسة بيالارا، ومشاركتها في مشروع شباب من أجل التغيير. وانها اكتسبت مهارات جديدة، من خلال مشاركتها في برنامج «عد للعشرة». ويتكون البرنامج من (٢٤) حلقة، تدعو الى الحوار والابتعاد عن العنف في التعامل مع الآخرين سواء في البيت أو في العمل، أو على مستوى المجتمع بشكل عام.

وقد لفت نشاطها وتميزها انتباه مؤسسات أخرى، ومنها مؤسسات اعلامية كالقدس التربوي، الذي عرض عليها العمل في برامج تربوية تتعلق بالطفولة.

لذلك فإن اخلاص واستناداً إلى نجاحها، تبدو اليوم حقاً سعيدة في بيتها وعملها:

«ان اطفالي يعشون بشكل مريح، فأنا أعرف الوسائل التربوية وحقوق الطفل، ولا أتصرف بشكل ارتجالي، كل موقف مع اطفالي أحاول ان أتعامل معه وفق مفاهيم تربوية. وزوجي هو الآخر يشعر بالتطور في شخصيتي وعلى مستوى عملي المهني، وهو

يشجعني باستمرار ويقدم الدعم لي ، ويقول انني أصبحت استفيد من طريقتك في التربية واتعلم منها . كما انه يصاحبني عندما أقوم بتصوير الحلقات التربوية ، الى الاستوديو ، مقدماً الدعم المعنوي لي ، مؤكداً انه الى جانبي باستمرار» .

قصة النجاح مستمرة

اخلاص لا تقف عند انجاز معين . فهي تستثمر الزمن ، لتحصيل ما يمكنها تحصيله من معارف ومفاهيم وتجارب وخبرات ما بين العمل والبيت ، والدورات والمحاضرات والبرامج التلفزيونية ، حلقات متصلة قوية من التواصل والتناغم ، وكل حلقة ترتبط بالأخرى تدعمها ، تغذيها . انها تجربة مربية تعرف طريقها جيداً ، وتسعى للأفضل والأحسن باستمرار ، لا تكل ولا تمل ، ما دامت تلمس النتائج الايجابية لعملها واصرارها ، تلمسه كل يوم في الروضة ، وفي كل المؤسسات والمرافق التي تعمل فيها . هي قصة نجاح حقيقية ، تشكل درساً في الاستفادة من الفرص وتوجيه الجهد ، لمن يسعى لوضع مداميك قوية لقصة نجاح أخرى مشابهة .

اعتدال السلايمة «ام رشدي»:

الجمع الابداعي بين العناية بثمانية أطفال والعمل في الـميدان المجتمعي

تزوجـت وهي في سـن السادسـة عشـرة، بعد ان عاشـت طفولتهـا في البلـدة القديمة من القـدس، وانتقلت في العام ١٩٦٠ للسـكن في حارة الشـرف. والـزواج في هذا العمر، يعني الانجاب المبكر، وتحمل مسـؤولية أسـرة. لكن مشـوارها في العمل المجتمعي انطلق جنباً الى جنب مع قيامها بواجباتها تجاه أطفالها وزوجها.

تقـول إعتـدال: « **كانت بدايتي الحقيقية حينما التحق طفلي بالروضة، حيث اخذت اتطوع مع المعلمات، وأشـاركهن في أنشـطة فنية وتربوية. اكتسبت من خلال هذه التجربـة مهـارة التعامل مع الطفـل ورعايتـه والاهتمام به عن طريـق اللعب. وقد علمت من معلمات الروضة، ان هناك مؤسسـة اسمها برامج الطفولة، تنظم انشطة وفعاليات وتعقد دورات باستمرار لتطوير قدرات ومهارات نسائية، للمجتمع «.**

برنامج «الأم الدليل»

وعن اسـتفادتها من التحاقها بمؤسسـة برامـج الطفولة، وبخاصة برنامـج «الأم الدليل»، تشرح الأمر على النحو التالي:

« حفزني البرنامج على الانخراط في نشاطات اجتماعية مهمة. ولولا ذلك ما تمكنت من تقديم خدمات ومبادرات لنسـاء وأسـر في محيطي الإجتماعي. لقد تعلمت كيف ابـادر الـى زيارة البيـوت، ومن ثم الاسـهام في العمليـة التوعويـة. وتعلمت كيف أتعامـل مع الفوارق بين الأسـر ومع خصوصيات الآخريـن. وعلمتني هذه التجربة

بكل تأكيد طول النفس وسعة الصدر في التعامل مع زوجي وأولادي. ان ما تعلمته من البرنامج ومن انخراطي في التجربة المجتمعية العملية لكثير، وفي مقدمة ذلك، الحوار الهادئ البناء المثمر، مع الزوج والاولاد، ما اسهم في تمتين علاقاتنا الأسرية وتعميق انتماء الجميع لها، بمعزل عن فرض القرارات من أحد. تعلمت باختصار ان كل شيء يمكن حله عن طريق النقاش. ومع الأيام، صارت النسوة في الحي ينظرن إليّ باحترام شديد، ويستأنسن برأيي ويطلبن مساعدتي في أدق التفاصيل الخاصة، وكنت لا اتردد في الافادة من خلال التوجيه والنصح ضمن أسس تربوية تعلمتها نتيجة التحاقي بالدورات».

نظرة استغراب!!

وعن الصعوبات التي واجهتها، بسبب قرارها الخروج من البيت، والالتحاق بالدورات ومن ثم العمل في الميدان أوضحت:

«استغرب الكثير من الأقرباء والجيران قراري، وتساءلوا: لماذا تخرج من بيتها، حيث أولادها وزوجها بأمس الحاجة لها؟!

وقال بعضهم: «بعد أن شاب راح الكتّاب».

الا انني لم التفت لمثل هذه التعليقات، بل إن ذلك زاد من تصميمي على تحقيق ما أصبو إليه. وللحق فان تشجيع زوجي لي، قد شكل دعماً في الإستمرار والنجاح.

ومن يوم الى آخر، استطعت ان اثبت نفسي في العمل، وأكدت في الميدان ان الارادة هي العنصر المهم في المعادلة. لقد اضطر من انتقدوا خروجي من البيت للاعتراف بتجربتي وبأهمية الدور الذي أقوم به. أما النساء في وسطي الإجتماعي، فقد أفرحهن ما حققته، فبادر قسم منهن للالتحاق بالدورات والنشاطات التي تعقدها وتنظمها المؤسسة.

وأنا مسرورة لأنني تحولت الى نموذج يحتذى في نظر الكثيرات».

توظيف الفن اليدوي في التربية

وبالطبع فإن دورها لم يقتصر على المشاركات في دورات «الأم الدليل»، وبالتالي لعب دور في ارشاد وتوجيه الأسرة، وانما اتسع، مستفيدة من موهبة عملت على تنميتها في الخياطة والتطريز وابداع الالعاب للاطفال، بخاصة التي توظف في العملية التربوية.

وعـن مدى سـعادتها حينما يتسـنى لها عمـل الالعاب التربويـة ولوحات الايضاح تشـير اعتدال :

«هذه هواية محببة، لقد تدرجت في العمل الى ان اصبحت قادرة على تجهيز ورشات العمل التربوية لصالح مؤسسة البرامج بكل ما تحتاج من العاب ووسائل ايضاح أخـرى. واننـي اليوم فخورة بما أنجزت، لاسـيما وان ذلك يفيـد الاطفال والمعلمات والتربويـين. واليوم فإن ابنائـي وبناتي يتحدثون عني باعتزاز، ومنهم من نسّـق ورتـب لي مشـاركات في ورشـات عمـل لمجموعات، حيث شـاركت بكل مـا لدي من معارف ومهارات».

وبعـد: ان سـطوراً قليلة مهمـا قمنا بتكثيفها ، لا يمكـن لها ان تعطي هـذه التجربة حقها ، لأننا نتحدث عن زوجة وأم وفنانة وناشـطة مجتمعية ، لـم تقعدها مسؤولياتها الاسرية في البيـت ، وحتى هـذه الايام ، ورغم ان ابناءها وبناتها قد كوّنوا أُسـرهم الخاصة ، ورغم ان سـاعة الزمن مستمرة في حركتها ودورانها ، مؤكدة ان المراحل العمرية ماضية في مسارها الطبيعـي ، الا ان اعتدال تؤمن ان العمل عبادة ، ولا مجال اطلاقاً للتوقف ، لأن مجتمعنا بحاجـة الـى جهدنـا وعملنا حتـى اللحظة الأخيـرة . انها صاحبة رسـالة تسـتند الى ارادة جبارة .

تهاني أبو غليون:

مؤسسة برامج الطفولة أضاءت لي طريق التعرف على هويتي القومية

ان تكـون عربياً، تعي هويتـك الوطنية والقومية، هذا أمر طبيعـي، بخاصة عندما تعيش في واقع موضوعي يعمل على بلورة هويتك مبكراً. لكن ان لا تساعدك ظروفك على معرفة من أنت لسنوات طوال، فذلك يحتاج الى تصحيح المسار وبلورة الهوية في الذهن وفي التركيب النفسي والثقافي للإنسان، ما يتطلب مساعدة أفراد يتمتعون بوعي وادراك وسعة أفق، بغية استيعاب الآخرين والأخـذ بأيديهم، حتى يخرجـوا من تيههم، ويتطلب عملاً مؤسسـاتياً ممنهجاً، يوجه من يحتاجون الى توجيه، ويمكِّن من هم بحاجة الى تمكين وتعميق.
ومن يظن اننا نتحدث هنا بعمومية وبشكل مجرد، سيدرك ان لدينا مثالاً حياً ملموساً على ما رمينا اليه من خلال قصة فتاة اسـمها تهاني ابو غليون من النقب، التي استهلت حديثها معنـا بتوجيـه الشـكر الجزيل لمؤسسـة البرامـج، لأن لها الفضـل في تعريفها علـى هويتها الوطنيـة، ليس هذا فحسـب، بل وتثقيفها بهـذه الهوية، لتعرف بالضبـط من هي؟ وماذا تريد؟ وما الذي يتوجب عليها فعله لمجتمعها؟

من أنا؟

تقـول تهانـي: «**كان اسـتعمالي للغـة العربيـة محـدوداً، وكانت تخـونـنـي الكلمات والمفـردات لكـي اعبـر عن نفسـي بلغتي. وكانـت اللغـة العبرية هي بمثابـة اللغة اليوميـة، حيث فرضت علينا ظروفنا بحكـم العمل والاختلاط والحاجة ان نتحدث العبرية باستمرار. وكنت اعيش تشتتاً حقيقياً، ما بين واقعي العربي كفتاة عربية، وبين الانشداد للعمل والعيش والاختلاط مع الاخر.**

والاختلاط لم يكن هو مشكلتي بحد ذاتها، وانما تركزت المشكلة في عدم معرفتي بأساسيات الهوية، أي ما معنى ان تكون عربياً. وكيف تتعامل مع هذه الهوية من باب الحقوق والواجبات؟ الى ان قاد الله لي مؤسسة برامج الطفولة، أو قادني اليها، لأُدرك بعدها روعة التعرف على الذات، ومتعة بلورة الهوية، لأن فقدان الهوية يساوي الضياع. وأنا الآن وجدت نفسي، وأصبحت انظر في مرآة عروبتي، فأُسرُ وأبتهج عندما أقرأ جيداً ملامح وقسمات وجهي العروبي».

قصتها مع برامج الطفولة:

حين تسرد تهاني قصتها مع مؤسسة البرامج، تشعر وكأنها تتحدث عن قصة حميمية مع صديقتها، مع انسان من دم ولحم وأعصاب وأحلام وتوجهات. . . . تقول: «**كنت أعمل بديلة لمعلمة في الصفوف الابتدائية في مدرسة عمر بن الخطاب، وتزامن ذلك مع بدء مؤسسة برامج الطفولة في تنفيذ برنامج «العب وتعلم» في هذه المدرسة. وقررت الانضمام لهذا البرنامج. وكان هدفي ينحصر في تحسين دخلي المادي، لكن الأمر لم يقتصر على ذلك، بل ان انضمامي للبرنامج كان فاتحة تعلم وتمكين وتعريف بالذات. وبعد مضي فترة قصيرة أصبحت مركزة للبرامج في «راهط». ولو اردت ان اتحدث عن مدى استفادتي من التجربة لاحتجت الى وقت أطول ومساحة أوسع، لأن الاستفادة كانت كبيرة وعميقة، حيث طالت تفكيري واسلوب تعاملي مع الناس، حتى وصلت حد مساعدتي في التعرف على هويتي العربية. واصبحت خلال علاقتي بالمؤسسة، اتعامل مع طاقم من اناس ينتمون لمجتمعهم، ويحترقون كالشموع من أجل الاضاءة على الآخرين، (تعليمهم، تشجيعهم، تحفيزهم تصويب أخطائهم، ومساعدتهم على التفكير الايجابي)، فان تبدأ بالتفكير ايجابياً، يعني ان افعالك ستترجم الى ما هو نافع ومفيد. لقد سألت الطاقم كثيراً وبشكل يومي وملحّ: ماذا يعني ان تكون فلسطينياً. وكانت الاجابات تتمحور حول الانتماء، العمل، مساعدة الآخرين، تحمل المسؤولية تجاه المجتمع، لأن الانتماء اذا بقي اسمياً يظل شكلياً ولا قيمة له، أما عندما يتم تحويله الى لغة الفعل والانجاز، فإن ذلك يعطي الانتماء معنى عميقاً، وتصبح جذوره ضاربة عميقاً في الأرض»**.

أنا لغتي

وانا استمع الى تهاني وهي تسرد قصتها بتلقائية وحميمية ونهم واندفاع حماسي منقطع النظير، تذكرت وهي تتحدث عن اللغة العربية، وكيف ساعدتها المؤسسة على تطويرها، ما قاله الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش في احدى المقابلات، عندما سألوه عن علاقته باللغة العربية فقال «أنا لغتي»، بمعنى ان اللغة هي احدى مكونات الهوية، وبدون اللغة يصبح الانسان ضائعاً مشتتاً. فاللغة تعني أنت، تفكر بها، ومن خلالها تتواصل مع الآخرين، وعن طريقها تطور امكاناتك الثقافية والاجتماعية والمعرفية والتربوية والابداعية.

وحول متعة وجمال وأهمية تطويرها للغتها العربية توضح تهاني ذلك، مؤكدة مقولة محمود درويش، »كانت لغتي العربية ركيكة، ومفرداتي محدودة، وبالكاد أدير حواراً بسيطاً، الا ان طاقم المؤسسة قد ساعدني ان تطوير اللغة هو مدخل لتطوير الشخصية، وأنه بمعزل عن لغتنا العربية الغنية، لا نستطيع التواصل مع محيطنا واقناع الناس بنا، وبما نقوم به ونقدمه من خدمات، وكلما اضفت مفردة جديدة كنت اشعر بالسعادة والرضى عن النفس. عكفت على قراءة الروايات والقصص العربية الآمر الذي ساعدني تدريجيا على تقوية وتطوير لغتي.

اضافة الى أن حبي للمؤسسة وطاقمها، شكل لي دافعاً للتعرف على المجتمع الفلسطيني. صحيح أنني ابنة النقب، لكن كان لزاماً عليّ التعرف على مجتمعي في المدن الاخرى، فأخذت اواظب على زيارة القدس ورام الله، وشعرت ان هناك قواسم مشتركة كبيرة بيني وبين ابناء شعبي اينما ذهبت. كنت في البداية لا استطيع التحاور بلغتي العربية، ولكن ان الأمور انقلبت رأساً على عقب.

العلاقة بين العمل المجتمعي وتطوير الشخصية

«تغيرت حياتي، بل الصحيح انها تطورت، لأن التغيير يشمل أحياناً مسائل صغيرة. أما التطور فإنه يكون عميقاً وجذرياً. إذْ طرأ تطور جدي على علاقتي بالآخرين، صرت استمع اليهم، وأُسدي النصح لهم، اصوب الاخطاء، أوجه، استعين بأساليب تربوية، وألمس نتائج عملي من خلال تجاوب الناس مع مبادراتي.

في البداية لم يصدق افراد أُسرتي هذه النقلة في حياتي، لكنهم اخذوا يتعاملون معي كإنسانة جديدة، لها رسالتها، فقد غادرت الماضي واخترت طريقاً ايجابياً بناءً. واليوم احظى باحترام وتقدير مجتمعي، اذ بات مألوفاً ان يتوجه اليَّ ابناء مجتمعي، في الوسط الذي أعيش، ويطلبون مني النصح والارشاد والتوجيه، وأنا بالطبع لا ابخل بأية معلومة، ولا اتوانى عن القيام بأي جهد يفيد من حولي.

كنت أعيش في اسرة ممتدة، واشعر بتمييز ضدي من العائلة الموسعه، لكني اليوم فرضت موقعي ودوري، ولا أحد يستطيع ان يمارس أي تمييز بحقي. فأنا واعية لدوري ولا اقبل ان يضطهدني أي كان، او يتعامل معي بفوقية. وقد دعمت تجربتي العملية بالتعليم واخترت مجال علم النفس التربوي، درست سنة جامعية ولم أوفق في مواصلة مشواري الأكاديمي، الا ان الاستاذ فريد أبو غوش مدير عام مؤسسة برامج الطفولة، نصحني بالعودة الى مقاعد الدراسة، مؤكداً لي ان التعليم يعمق ويمنهج التجربة، ويعطيها ابعاداً علمية وتربوية، تفيد العمل وتغنيه، فعدت الى الدراسة منذ العام ٢٠٠٨، وأنا مصممة في الحصول على الشهادة الجامعية . . . ».

مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة

لقد بدأت تهاني خطوتها الأولى، ثم الثانية والثالثة والعاشرة والمئة، وقطعت مسافة لا بأس بها على طريق العمل والنجاح والانجاز، وهي مستمرة في السير الحثيث الواثق الواعد، مصممة على الوصول. ونحن على ثقة انها ستصل حتماً، لأنها ترى بأُم عينها نهاية الطريق لتتوج ما تصبو اليه وتتمناه لنفسها ووسطها ومجتمعها بشكل عام.

ختام ملوخ:

من مهمشة الى قائدة مجتمعية

«إن عضويتي في المجلس القروي في بلدة بيت عنان، هي تتويج لمسيرة عمل وكفاح امتدت سنوات، وما كان لي أن انجح واستمر وأحظى باحترام أهل بلدي، لولا أنني بذلت مزيداً من الجهد في العمل الوطني والمجتمعي التطوعي».

بهذا استهلت ختام جميل ملوخ حديثها، وهي تحاول استرجاع ذكرياتها، مشيرة أن حياتها لم تكن سهلة، وان الوضع تطلب صموداً وتماسكاً منذ الطفولة، حيث توفى والدها وعمرها لم يتجاوز سبع سنوات، فتحملت الوالده أعباء الحياة، لكي يتسنى لها العناية بأبنائها الستة (خمسة اولاد وبنت). لكن تداعيات وفاة الوالد استمرت وأخذت منحى شديد الصعوبة، بخاصة حينما بدأت الوالدة تتعرض لضغوط اجتماعية كأرملة، خشية ان تتزوج مرة ثانية، وبالتالي يدخل الى الأُسرة رجل غريب، يسيطر على الأرض التي ورثتها عن زوجها.

لقد تغيرت تعابير وجه ختام، وأصبح صوتها خانقاً حزيناً، وهي تستعيد فصولاً من طفولتها:

« لم تستطع والدتي الصمود أمام الضغوط الاجتماعية في قريتها. كان كل شيء يقف ضدها، العادات والتقاليد، نظرة المجتمع، كل ما هو حولها يقول لها انت أرملة، ولا يحق لك ان تفعلي، ما تفعله النساء الأخريات. لذلك يمكننا ان نتصور وضع امرأة تعيش في وسط تقليدي، وهي لم تنل أي نصيب من التعليم. كيف لها اذن ان تواجه المضايقات والتقييدات التي أصبحت تحاصرها من كل حدب وصوب، والنتيجة مغادرة القرية هي وأطفالها الستة بعد ان شعرت ان الواقع يرفضها.

كانـت وجهتهـا مدرسـة «دار الطفل» في القـدس، حيث عملت في هذه المدرسـة مما أتاح لي الدراسـة. كانت أُمي البطلة الحقيقية لهذه المرحلة، احترقت كالشمعة لكي نعيـش، فدخلـت في صراع مريـر مع الحياة، لكنهـا في النهاية تمكنـت من تربيتنا وانقاذنا من نيران المأساة، لنخرج إلى الحياة قادرين على المواجهة ».

الزواج في السادسة عشرة

قد ترى امرأة وجدت نفسها أمام تحد الحياة، في زواج ابنتها خلاصاً لها، بصرف النظر عن الظروف التي احاطت بهذا الزواج. لكن الزواج المبكر هو بحد ذاته تحد آخر، وحول ذلك حاولـت ختام فـي البداية اختيار كلماتها لتعبر عن هذا الزواج بشـكل متوازن ومضبوط، لكنها لـم تستطع السيطرة على تداعياتها، فانطلق الكلام منها بتلقائية :

« تزوجـت فـي العـام ١٩٧٦ في بلدة بيت عنـان. وكان الزواج تقليدياً من الألف الى اليـاء، الا أننـي قـررت ان لا استسـلم للظـروف، ولا أعيـد انتاج تجربـة أُمي. كانت تجربتهـا ماثلـة أمام ناظري باسـتمرار، وحاولت ان اتجنب مـا تعرضت له، لأنني في طفولتي كنت شـاهداً على عذاباتها. لقد شـعرت بظلم أمي وهـي تغسـل وتمسح في مدرسة دار الطفل لكسب الرزق. وقلت في نفسي : « لو كانت أمي متعلمة بعض الشيء، لاختلف الأمر. لذلك عملت على تطوير قدراتي من خلال الاشتراك في دورات تدريبية، فقد تعلمت الخياطة، وبعد فترة قصيره وجدت ان هذه المهنة لا تناسبني، غيـر اننـي اطلقت العنـان لطموحي، وقـررت ان لا أقف عند حد. أقسـمت ان لا أُعيد تجربة أُمي مهما كان الثمن، هي ظلمت وقهرت، وأنا يجب ان أثور ضد الظلم».

العمل الوطني والاجتماعي فتح لها الأبواب

انضمت الى لجنة المرأة للعمل الاجتماعي في قريتها، وأخذت تشارك في مشاريع انتاجية وتعاونيه. وكانت تشـعر بسـعادة غامـرة وهي ترى ما تطرزه يعرض فـي معارض، يؤمها النـاس ويبـدون اعجابهـم بما يعـرض وبخاصة في القـدس. ان العمل الاجتماعي وسّـع آفاقهـا وجعلهـا تتعامل مع أناس آخرين، فصار فضاؤها أوسـع من القريـة. لقد امتد الى مدينة القدس ومدن أخرى، وهذا ما عزز وضعها الاجتماعي.

تجربة الاعتقال

في العام ١٩٩٠ خطت ختام خطوة ابعد في نشاطها حينما ساهمت في تنظيم معرض تراثي في عبلين. وقد صممت على تنظيم هذا المعرض، رغم معارضة الأهل والأصدقاء الذين نصحوها بأن لا تذهب لتنظيم نشاطات وفعاليات في مناطق بعيدة. الا انه صممت، معتبرة ان النشاط الاجتماعي والوطني يجب ان لا يستمر في غرف مغلقة، وانما من المفروض ان ينطلق في أي مكان يمكن الوصول اليه. لكن في المعرض لم تسر الأمور كما خططت ورغبت لأن الاعتقال كان لها بالمرصاد، إذ كيف لها ان تعرض التراث الفلسطيني والاعلام الفلسطينية وخارطة فسطين التاريخية، لقد اعتبر ذلك تحريضاً! تقول ختام: « **اعتقلت في معتقل الجلمة ١٨ يوماً، وبعد ذلك، فرضوا عليّ الاقامة الاجبارية في قريتي ستة شهور. وكنت ملزمة بإثبات وجودي من خلال التوقيع على محضر في مقر الحكم العسكري. كان اعتقالي في قريتي مستغرباً إذ كيف بامرأة وزوجة وأُم تذهب الى بلدة بعيدة، وتمارس نشاطاً وطنياً وتعتقل بعيداً عن أولادها؟ كيف لها ان تخرج على ما هو مرسوم ومسموح للمرأة في القرية؟!! لكنني واجهت كل هذا بالصمود والتمسك بخياري، ومضيت في مشواري الاجتماعي والوطني، دون أن التفت الى التعليقات، ولم أنكسر أمام الضغوط الاجتماعية، إلى ان سلم من هم حولي بما فرضته ارادتي ».**

وتمضي ختام في وصف مسيرتها بعد أن خرجت من الاعتقال: «**واصلت عملي بكل تصميم، واصبحت مسؤولة لجنة المرأة في قرى شمال غرب القدس، أي انني تحولت الى قائدة نسوية. أجل لقد انتزعت ذلك بالارادة. ولم اكتف بالعمل في اللجان، بل وبادرت الى تأسيس النادي النسوي في بيت عنان، الذي يضم ٣٠٠ امرأة، الأمر الذي اتاح لهؤلاء النسوة الاستفادة من دورات تأهيلية، على مستوى الخياطة وتربية النحل والتجميل وغيرها».**

مؤسسة برامج الطفولة محطة مهمة في حياتها

وتستعرض ختام فصولاً أُخرى من تجربتها التي باتت نساء قريتها والقرى المجاورة ينظرن لها باحترام ويتعاملن معها كقدوة «**توجهت في ١٥-٩-١٩٩٩ الى مؤسسة برامج الطفولة بعد تنسيق مع الاغاثة الطبية، المؤسسة التي رشحتني للالتحاق بدورة**

تمكـين مخصصة للنسـاء في منطقة رام اللـه. وكانت التجربة جديدة ودهشـة في ذات الوقت» أما لماذا جدية ومدهشـة؟ فقد اوضحت ختام ذلك في سياق حديث مطول يمكن تكثيفه على النحو الآتي :

ان تجربتها التي جسدتها بالمعاناة والعرق والتضحية والاعتقال، كانت تجربة عملية بحتة، فقـد كانـت الأمور تعتمد اعتمـاداً كلياً على طاقاتهـا ومبادراتها وامكاناتهـا وقدرتها على التحـدي، الا ان دورة التمكـين التي جمعت ما بين النظـري والعملي، والتمكين الفردي والتمكـين الجماعـي، زودتهـا بمعـارف ممنهجـة احدثـت تغييراً فـي حياتها. لكـن عملية اسـتيعاب مضمـون ما طرح فـي الدورة لم تكن سـهلة ولم تسـر بتلقائية، فـكل جديد له ظروفـه ومعطياتـه. وحول هذا نقتبـس بعضاً من توصيفها للـدورة **«التزمت الصمت في الخمـس محاضـرات الأولـى. كانت المصطلحـات والمفاهيـم التي طرحـت، اكبر من اسـتيعابي، فقلت للمدربة انا لا افهم ماذا تقولين ارجو ان تبسـطي لي المصطلحات وتتحدثـي بلغة اسـتطيع فهمها. واسـتجابت لطلبـي، وصرت اسـتوعب ما يطرح بشكل تدريجي. وكان كل لقاء يؤسس للقاء الذي يليه، وتحولت من مشاركة كانت تستغرب ما يقال الى مشاركة فعالة، تسأل، وتستفسر وتحاول ابداء الرأي»**.

لقد فتحت الدورة لها آفاقاً جديدة في مجال التعليم والمعرفة وراحت تبحث عن المزيد، بل ان مـا تعلمته من خلال الدورة التمكينية في برامج الطفولة، اعطاها حافزاً لتعميم تجربتها بحيث تشـجع نساءً أخريات على الالتحاق مشابهة تعقدها المؤسسة في المنطقة. أما كيف افادت نساء قريتها انطلاقاً مما حصلته من الدورة فتشرحه على النحو التالي : « **قلت لذاتي لماذا لا انقل ما تعلمته للنساء، لاسيما وان تمكين المرأة وتعريفها بطاقاتها ودورها وحقوقها، قضية مهمة للنسـاء الريفيات اللواتي يعانين من التهميش والاضطهاد، لدرجة انهن لا يعرفن ماهية حقوقهن.**

فبـادرت الـى دورة وبالتنسـيق مـع النـادي، قدمت خلالهـا كل ما اسـتطيع لافادة المشـاركات، بالاسـتناد الى ما فهمته واسـتوعبته من دورة التمكين. كنت اراجع ما اخذتـه فـي الدورة السـابقة واعيد تدوينه وتدريب نفسـي عليه مـرات ومرات، ثم قمت بتدريب النسـاء بنفـس الطريقة التي تعلمتها، وكان التفاعـل ايجاباً الى ابعد الحدود».

عضوية المجلس البلدي

وتنتقل ختام الى محطة أخرى متحدية الصعاب، مجسـدة النجاح تلو النجاح، ايماناً منها بأنها تفعل ما يفيد مجتمعها وما يحقق ذاتها. لذلك لم تلتفت الى كل المعوقات.

تقـول ختـام : «**باصـراري فرضـت ارادتي، وخضـت الانتخابات ونجحـت، وها أنا اقـوم بخدمة القرية بإخـلاص، فقد تحررت من القيود وانتزعـت الاعتراف بدوري وأهمية وجودي كامرأة. واليوم أخرج للاجتماعات واشارك في اللقاءات متى أريد، ما دامت ظروف العمل تقتضي ذلك. لا أحد يتدخل في شؤوني ولا لماذا خرجت ومع من جلست. انا الآن شخصية عامة ودوري معروف للناس**».

واليوم فإن نساءً كثيرات في قريتها والقرى المجاورة يتطلعن باحترام كبير لدورها، ويتمنين ان يكنّ بقوتها واصرارها. لقد تحولت من امرأة مهمشة الى امرأة قدوة، تلعب دوراً رياديا في المجتمع، اليس في ذلك قصة نجاح تستحق التوثيق والتعميم؟!

رولا العلي:

الحياة مدرستي الحقيقية

«الطفولـة فـي تجربتي لم تكن مرحلة لعب ولهو، بل مشـاركة في مسـاعدة أمي في تحمل أعبـاء البيت. تحملت مسـؤولية خاصة تجاه اسـرتي وأنـا طفلة. وكلما ازداد عمري سـنة واحدة، كان ما هو مطلوب مني يزداد ويتشعب».

هـذا تلخيـص مكثف لمرحلـة الطفولة التـي عاشـتها «رولا العلي»، التي ولدت لأسـرة، الأم- معلمـة، والأب مريـض كان يتلقـى العـلاج باسـتمرار فـي الخـارج. وكانـت الأم مضطرة للعمل لتوفر حاجات الاسـرة بسـبب مرض الأب. هذا الواقع فرض عليها دوراً أكبـر ممـا تحمله طفلـة، اذ كان يترتب عليها، المسـاعدة في تنظيف البيـت، واعداد الطعام لاخوتها، والسهر عليهم.

الدراسة والنجاح في ظروف مجافية

«واصلـت دراسـتي الاعدادية والثانوية جنبـاً الى جنب مع اهتمامي بأفراد الأسـرة، ومع مواظبتي على القيام بكل ما يتطلب البيت من عمل. ومع ذلك قررت ان انجح، ولا اجعل ظروفي عائقاً أمام دراستي. بل وبعد ان انهيت التوجيهي، التحقت بكلية الأمة في القدس وتخرجت منها بشهادة دبلوم / تربية ابتدائية. وكنت مشتتاً بين الدراسة والأسرة، أقتنص وقت الفراغ بين المحاضرات وأعود الى البيت، انظف واحضر الطعام، ثم انتقل مباشـرة الى غرف الدراسة، وهكذا. . . .

وفي البداية قررت بعد التخرج ان لا أعمل لكي يتسنى لي الاستمرار في القيام بواجبات البيت. بل رغبت اذا ما تزوجت، ان اكرس جهدي لأولادي، وان لا أمارس أية وظيفة، حتى لا أكرر تجربة والدتي مع العمل..»

الزواج والمعاناة بين هوية القدس وهوية الضفة

والد «رولا» في الأصل من مدينة بيت لحم، حيث تزوج من أمها المقدسية «حارة السعدية»، وحصل على هوية القدس لاحقاً، وهي بدورها قد تزوجت من شاب من بيت لحم «هوية ضفة»، لتجد ان ذلك قد وضعها أمام تحدٍ جدي، ففي السنوات الأخيرة، لم يكن بمقدور الزوج الاقامة في القدس، وهي اضطرت لذلك، لكي تحافظ على هويتها، وهذا بحد ذاته قد القى على عاتقها مهمة تربية الأولاد الأربعة، في ظل غياب الزوج. كانت لأولادها الأم والأب، ما جعلها في حالة استنفار دائم، فمطلوب منها ان تربي وترعى الاولاد، وتوفر لهم كل ما يحتاجون، الى ان استطاع الزوج الحصول على اقامة في القدس، ليكون قريباً من أسرته، يتقاسم مع الزوجة مسؤوليات تربية الأولاد ورعايتهم والإشراف عليهم.

الخروج من البيت الى المجتمع

وحول التغيير الذي طرأ على حياتها وصوَّب توجهاتها قالت: «**برنامج الأم الدليل في مؤسسة برامج الطفولة، ادخلني مرحلة غنية ومهمة في حياتي. وكان الهدف من التحاقي بهذا البرنامج، السعي للحصول على معلومات وآليات تساعدني في تربية أولادي والإهتمام بهم. شعرت أن هذه الدورة فتحت لي آفاقاً جديدة، وصرت معنية بدورات أخرى لكي أدعم معارفي وتجاربي، فشاركت في دورة التمكين النسوي، ثم دورة ارشاد سياحي لمدينة القدس».**

لقدتحدثت «رولا» كثيراً عن أثر هذه الدورات عليها، وكيف استطاعت من خلالها، ان تغير اسلوبها في التعامل مع ابنائها. فقد كفت عن اسلوب العقاب الجسدي إذا ما اخطأ أحدهم، وأخذت تتوجه اليهم بنصائح تربوية. اضافة الى انها تعلمت أساليب جديدة في الطبخ، فأصبحت أكثر وعياً بإعداد وجبات غذائية متوازنة، مبتعدة عن الوجبات السريعة والمقالي والدهنيات.

كمـا ان هـذه الدورات جعلتها تتبع الحوار الهادئ طويل النفس اسـلوباً في ادارة الحياة مع زوجهـا ، مـن خلال الحوار والنقـاش الهادف ، الذي انعكس ايجاباً على الأسـرة بشـكل عـام . واليوم فإن «رلى» التي لم تحبذ في البداية العمل خارج البيت ، صارت تنظر للعمل كوسـيلة لتطوير قدراتها وامكاناتها ، وتعلمت كيف تـوازن بين البيت والعمل الخارجي ، فهي تعمل معملة في احدى مدارس المرحلة الابتدائية في القدس من الساعة ٨ حتى ١١ ، ثـم تنتقـل لبرنامـج الأم الدليل ، بعمل من السـاعة الثانية حتى الثالثـة كمتطوعة مرتين في الاسبوع .

الالتزام في برنامج الأم الدليل

وعن سر ارتباطها ببرنامج الأم الدليل ، وحماسها له وحرصها على الاستمرار في العمل فيه ، بالتزام واع ودون تقطع شرحت : «**البرنامج مفيد لمجتمعي، ويساعد الأُسر على تربيـة ابنائهاً، وفق اسـاليب حديثة، وبالتالي فإن اسـتمراري في البرنامج دافعه رغبتـي الشـديدة فـي خدمـة أبناء شـعبي، الذين هـم بأمـسّ الحاجة الـى جهودنا التربوية، بخاصة في القدس وأحيائها الفقيرة المهمّشة. أما بالنسبة لدورة الإرشاد السـياحي، فقـد افادتني كثيراً، وأنا اقوم بدوري بنقـل ما تعلمته الى الاطفال الذين اعلمهم، إذْ اشـرح لهم تاريخ القدس ومعالمهـا الأثرية من خلال معلومات صحيحة مؤكدة. انني اشعر بسعادة غامرة وأنا اشاهد الفرح والارتياح على وجوه الأطفال، وهـم يسـتقبلون المعلومـات عـن المواقع الأثريـة في القدس: الأسـواق، الشـوارع، السـور، البوابات، المسـاجد، الكنائس. ان ذلـك يعمّق الانتماء الوطنـي لدى ابنائنا لهذه المدينة المقدسة ضاربة الجذور في التاريـخ...**».

وحـول تقييمهـا لتجربتهـا تؤكـد «رولا» انها فخورة بمـا وصلت اليه ، وهـي الآن في غاية الارتياح النفسـي ، لاسـيما وقد بدأت تمارس تأثيراً ايجابيا في محيطها ، فالنسـاء يثقن بها وبتجربتهـا ، ويحاولن الاسـتفادة مـن معلوماتها ، حيث ان عدداً منهـن قررن الخروج من البيت والالتحاق بالدورات ، بعد ان تأكد لهن بالملموس ان «رولا» اليوم تستند الى تجربة حياتيـة غنيـة . انها امـرأة جدية مثابـرة قادرة على التطور . وهناك نسـاء اميـات في منطقة الواد ، التحقن بدورات محو الأمية بتوجيه منها .

ان تجربتهـا واصرارهـا على النهوض بنفسـها واسـرتها، والارتقاء بمن هـم حولها، تجربة تسـتحق الدراسـة والتوثيق والتعميم، لأننا في مجتمعنا بأمسّ الحاجة لتعميم الإيجابي، لكي لا يظل السلبي هو السائد المسيطر.

سحر العيسوي:

انتصار على الظروف وتغيُّر المكان

تجربة سحر العيسوي تقدم أنصع مثال أن بمقدور الإنسان، ان يتأقلم وينتصر على الظروف مهما كانت التحديات، فقد انتقلت من بيئة إلى أخرى، لكنها استطاعت ان تنتزع نجاحها بالتعلم والعمل الدؤوب طويل النفس.

طفولة قاسية

تقـول سـحر: «**هاجـرت اسـرتي في الاسـاس مـن الرملة الـى الاردن فـي العام ٤٨ وسـكنت مخيم الحسـين، لكن والدي توفى في حادث مأسـاوي– حادث سـير– عن عمـر ناهـز ٥٠ عامـاً، بينما كانت والدتي في ريعان شـبابها ٣٨ عامـاً، فعكفت على تربية اثني عشـر طفلاً – خمسـة أولاد وسبع بنات– كنت اصغرهم سناً، حيث كان عمري حينذاك لا يتجاوز الخمس سنوات**».

أم مثالية

وتنتقل سـحر للحديث عن والدتها والدور الذي اضطلعت به، وكيف واجهت الظروف ولـم تستسـلم أمامها، بل ان التحـدي زادها قوة واصراراً: «**من نعم الله على أُسـرتنا، ان وهبنا أُماً مدبرة، تمتلك عقلاً وبصيرة، لا تنكسـر أمام أية صعوبات مهما كانت. وقد شـكلت لهـا وفاة والـدي امتحانـاً، لكـي تثبت انها جديـرة بأُسـرتها وأولادها، فأخذت تعتمد على نفسها وتدير اقتصاداً منزلياً بالتعاون معنا نحن الأطفال. ومن**

مـردود حاجات بسـيطة كان يبيعها اخوتي في المخيـم وخارجه، كنا نتدبر امورنا ونعيش».

ونتيجة قدرة هذه الأُم على اعالة اسـرتها والاعتناء بأطفالها ، والبحث عن طرق معيشـية ابداعيـة لتمكينهـا من العيـش باكتفاء وقناعة . أُختيرت لخمس سـنوات علـى التوالي كأُم مثالية على مستوى مخيم الحسين» .

طفلة تتحدى

وفيما يتعلق بتجربتها الدراسية في المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية توضح سحر :

«منذ وفاة والدنا، شعرنا نحن الاطفال بمسؤولية غير عادية. كنا نرى والدتنا تكد وتتعب وتسهر الليالي من أجلنا، وتنسى نفسها، وهي تضع كل ما تمتلك من طاقة وقوة في سـبيل اسـعادنا. لقد تأثرنا بذلك وأخذنا على عاتقنا ان لا نخذل هذه الأُم العظيمة. لقد ادركت مبكراً ان نجاحي في دراسـتي سيشكل قارب نجاة ينقلني الى شـاطئ الأمان، وهذا بالطبع سـيبعث السـرور في قلب أُمي. درسـت، اجتهدت، لم اضيّع دقيقة دون ان احاول تحسين مستواي الدراسي. وانتقلت من مرحلة دراسية الى أُخرى، الى ان توجت ذلك بالنجاح في الثانوية العامة وبمعدل ٨٨».

من الثانوية العامة الى الزواج مباشرة

وتصـف سـحر المرحلة التالية من حياتهـا ، معتبرة ان الزواج والانتقـال الى حياة جديدة ، وفي بيئة مختلفة عن البيئة التي كانت تعيش فيها ، شكل لها امتحاناً صعباً ومعقداً :

«تزوجـت ابـن عمتي قبل اعـلان نتائج الثانويـة العامة، وعدت الـى أرض الوطن. وسـكنت الرملة اسـتجابة لرغبة والدتي. كنت ارغب في اكمال دراستي في جامعة بيرزيت، لكن اندلاع الانتفاضة الأولى في العام ٨٧، جعل امكانية التنقل من الرملة الى بيرزيت أمراً صعباً، فتم تأجيل المشروع الدراسي.

كان الانتقـال للعيش في مدينة الرملة في غاية الصعوبة، إذْ وجدت اختلافاً في كل شـيء عن الحياة في مخيم الحسـين، الا انني فضلت العمل خشـية ان اظل ادور في دائرة مفرغة، فعملت مُدرّسة في مدرسة الزهراء في اللد».

الطريق الى مؤسسة برامج الطفولة

سـكنت في حيّ غالبية سـكانه من اليهود تقول سحر، «وانجبت حتى العام ١٩٩٣ أربعـة أطفال، وصادف ان قابلت يوماً في حينا امرأة عربية، فاسـتغربت وجودها في هذا الحي وسـألتها ماذا تعملين؟ فأجابت : أتعلم في مؤسسـة برامج الطفولة، وتحديـداً في برنامج الأم الدليل. قلت بإلحاح شـديد: وهـل يمكنني الالتحاق بأحد برامج المؤسسة؟ اجابت: نعم، وسوف اساعدك على ذلك.

وبالفعـل ذهبـت معهـا والتحقت بالـدورة الأولـى، ثـم تتابعـت الـدورات. وبعـد الانتهـاء مـن دورة الأُم الدليل، ودورة نسـاء قياديات بادرت مع بعض النسـاء الى تأسـيس جمعيـة في الرملة وسـجلناها رسـمياً، وقد قامت المؤسسـة بشـراء بيت لنمارس من خلاله نشـاطنا بهدف تطوير وتعزيز مكانة المرأة العربية في وسـطنا الاجتماعي».

مديرة جمعية:

«انتخبـت مديـرة للجمعيـة التـي قمنا بتأسيسـها ، وخـلال ادارتـي للجمعية مـدة خمس سـنوات ، تعلمـت مراكمة المزيد على تجربتي ، والعمل على تطويرها باسـتمرار وبشـكل يومـي . وعاهدت نفسـي ألا اتوقف عنـد مرحلة معينـة وأقول كفى . والمهـم هنا انه ومن مـردود عملـي كمديـرة حضانـة وعلى مدى عشـر سـنوات اسـهمت جنباً الـى جنب مع زوجـي في تحسـين الاوضـاع الاقتصادية لاسـرتنا ، ما مكن أولادي الخمسـة مـن العيش بمسـتوى جيـد ، واكمال تحصيلهم الأكاديمي في ظروف مريحـة . فإبني علاء حاصل على درجة B . A في الاقتصاد ، وابنتي سـوزان M . A فـي المجال التربوي ، وروان تخصص بيولوجيـا . واليـوم انا وابني بهاء على مقاعد الدراسـة ، هو يدرس التسـويق والاقتصاد ، وانـا ادرس التربية . فمنـذ البداية قلت واثبت ذلك بالممارسـة العملية ، ان الحياة يجب ان تسـتمر ، وان التجربـة من المفـروض ان يتم تطويرها بالعلم واغنـاء التجربة . واعترف هنا ان زوجي وأولادي في كل المراحل شـكل لي عاملاً محفزاً ومشجعاً ، وهو يساندني لكي احقق ما اصبو اليه . . . » .

برامج الطفولة في الرملة

وحـول تجربة مؤسسـة برامج الطفولة في الرملة، وتفاعل النسـاء مع الـدور الذي تقوم به تقول:

«تحظى المؤسسـة باحترام شـديد في الرملة بخاصـة في أحياء الربـاط والجواريش والبلد، لأنهـا سـاعدت نسـاءً كثيرات على الالتحـاق بالـدورات، وأخرجتهن من دائـرة الحصار وعـدم الفعـل، الـى سـاحة التعلـم والعمـل والعطـاء والمبـادرة لخدمة مجتمعهـن. ومن المألوف سـماع النسـاء هنا يتحدثن عن تأثير المؤسسـة وبرامجها عليهن، وعلى أُسـرهن. إنني والنسـاء العربيات في الرملة، نشـعر اليوم بامتنان الى مؤسسـة اخرجتنا من الأجواء التقليدية، وشـجعتنا على مسـابقة الزمن في الالتحاق بالدورات والتعلم، وعندما تنفتح شهية الانسان للتعلم، فلا شيء يستطيع ان يوقفه او يمنعه من ذلك. لذلك أشعر بعد هذه التجربة الطويلة براحة نفسية، لأنني وبتواضع شديد اسهمت في التأثير ايجاباً على النساء في وسطي الاجتماعي، وان كثيرات منهن التحقن بالدورات والبرامج التعليمية، بسبب تشجيعي ودعمي لهن».

عبير الشمالي:

تجربتها الغنية مفتوحة امام كل نساء حيها

لاشـيء يقف امام اندفاعها للتعلم والعمل وتعليم وارشـاد الآخريـن. زمنها مفتوح على كل شيء جديد، يمكنها الاستفادة منه لكي تطور قدراتها وامكاناتها، وبالتالي تعمل على تطوير قدرات وامكانات نساء أُخريات في وسطها الاجتماعي.
انهـا عبيـر الشـمالي، الأم، والتربوية والمرشـدة، التي تصـل الليل بالنهار دراسـة وعملاً وارشـاداً، تتنقـل بـين العمـل المهني والتطوع في ارشـاد نسـاء حـيٍّ الجواريش فـي الرملة وتوجيههن ليتعاملن مع ظروفهن ويتغلبن على حل مشـكلاتهن بأُسـلوب تربوي ممنهج.
لقـد اصبحـت محط انظار النسـاء، اللواتـي يتعاملن مـع تجربتها، على اعتبـار انها تجربة نموذجية تصلح لأن تعمم. هذا ما استخلصناه من رصدنا وتمحيصنا في تجربة امرأة جمعت بابداع بين الدراسة والعمل، بين واجباتها تجاه الاسرة، وتطوير قدراتها الشخصية كامرأة ايجابية في مجتمعها.

تجربتها مع «الأم الدليل»

تقول عبير:
«كان عمـري ١٨ سـنة عندمـا انهيـت الصـف الثاني عشـر، وكان برنامـج الأُم الدليل في مؤسسـة برامـج الطفولة، أول تجربة لي بعد الثانوية العامـة. فقد تعلمت كيف اتعامل مع قدراتي، وكيف أُنميها، وبأي اسـلوب تربوي، يمكنني التعامل مع المشكلات والتحديات الأُسـرية عنـد الآخرين. بعد الانتهـاء من دورة في اطار البرنامـج المذكور، لمس القائمون

علـى البرنامـج ما لدي من حماس للعمل مع الأهالي وارشـادهم حـول كيفية التعامل مع ابنائهم .
وبعـد «الأُم الدليـل» التحقت بدورات أُخرى، ومنها دورة «مسـاعدة معلمة روضة»، ثم اتسـع نطاق الدورات، واقبلت على الدراسـة الاكاديمية فيما بعد، وكأنني في سـباق مع نفسي ومع الآخرين».

وعي الاختيار

وخلال عملها الدؤوب على تنمية قدراتها، اصبحت نظرتها للزواج، نظرة غير تقليدية، بمعنـى انهـا رأت في الزوج المقبل شـريكاً كفؤاً، يسـاندها وتسـانده في تحمـل اعباء الحياة والنهوض بالاسرة.
تقـول: « مـا كان لي قبل هذه الـدورات، وقبل تجربة العمل فـي «الأم الدليل»، أن اختار زوجـي بوعي كما اخترت بعد اشـتراكي في الـدورات التوعوية، والتعـرف على مفاهيم وتوجهات جديدة، ساعدتني في وضع اساس صحيح للحياة الزوجية المشتركة.
تعلمـت مـن الـدورات ان التفاهم والحوار وتقسـيم الادوار وتكاملها، يقوم على اسـاس شـراكة انسانية حقيقية. وتعلمت أيضاً كيف أؤسس اسرة متحابة متعاونة، حيث علاقتي الانسانية الدافئة مع زوجي وأولادي. كل شيء في اسرتنا قابل للنقاش والحوار والتفاهم. لهذا استطيع القول إن ابنائي تربوا في اجواء أسرية صحيحة. . . ».

مرشدة ومن ثم مربية

وتواصل عبير تسليط الضوْء على قصتها مع العمل والنجاح:
«عملت في مشفى مرشدة للأُمهات، أي كنت بمثابة الجسر الذي يربطهن بالمشفى، اترجم للواتـي لا يعرفـن العبرية، واقدم الارشـاد للأُمهـات، حول التغذيـة والرضاعة، وكيفية التعامل مع الطفل بشـكل عام. عملت في هذا المجال مدة سـنتين ثم انتقلت للعمل مربية رياض اطفال. وشـعرت ان المجال الأول يتكامل مع الثاني، فالتجربة في أي مجال تفيد في تطوير وتعميق الشـخصية الانسـانية، حيـث تتداخل وتتناغم حلقـات المعرفة. الا ان العمل في الطفولة، قادني الى الدراسة الاكاديمية بغية توسيع آفاقي المعرفية في هذا المجال حيث درست سنتين متواصلتين، ثم انتقلت للدراسة الجامعية مدة اربع سنوات للحصول على اللقب الجامعي الأول».

الطاقة الايجابية

التعلم عن طريق الدورات او الدراسة الأكاديمية المنتظمة بالتوازي مع الممارسة العملية في الميدان، تدعم دون شك الثقة بالنفس، وتجعل الانسان قادراً على مواجهة أية صعوبات تعترضه. وكمثال على كيف واجهت عبير مشكلة خاصة عانت منها، واستطاعت التغلب عليها بالاستناد الى تجربتها الغنية وايمانها بقدراتها الذاتية، تقول:

«واجهت مشكلة جدية بعد ولادتي، حيث عانيت من اكتئاب ولادة، ومن اعراض هذا الاكتئاب ان الأم ترفض طفلها. وفي هذه المحنة كانت الدورات التي شاركت فيها، وتجربتي مع الطفولة والتربية بمثابة المُخلّص، حيث قلت لنفسي: يجب ان اكون أماً تتمتع بصحة نفسية جيدة، وعند ذلك رفضت تناول الادوية وقررت ان اشفى اعتماداً على ارادتي وتصميمي، وهذا ما حصل بالفعل.

مستشارة وداعمة

«انا متأكدة أنني اسير في الطريق الصحيح، حينما اقدم مشورة لامرأة في حيّنا، أو اشجعها للالتحاق بدورة، أو اقوم بدور توعوي لمجموعة من النسوة، اشعر بسعادة غامرة، لأنني اقوم بواجبي تجاه مجتمعي، فقد تعلمت من دراستي ومن تجربتي العملية، ان اكون ايجابية، وان اضع نفسي في خدمة الآخرين، فهذه رسالتي في الحياة. ولا يمر يوم واحد دون ان اوجه واحفّز وانصح واشجع. والآن فإن نساء كثيرات في الحي اصبحن يستلهمن من تجربتي، ما يحفزهن على الانخراط في الدورات والبرامج التعليمية. ان معارفي ومعارف زوجي، وعدد كبير من الاقارب والجيران وبالتالي وسطنا الاجتماعي بشكل عام لا يترددون جميعا في التوجه اليّ، لاستشارتي في مواضيع تخص حياتهم الاسرية، وفي كيفية التعامل مع اولادهم.

والحقيقة ان ثقة الناس بي تزيدني اصراراً على مواصلة طريق العلم والمعرفة، لكي يكون بمقدوري تقديم مزيد من المساعدة لأكبر عدد ممكن من الناس».

فايزة عناتي:

تعلمت من مؤسسة برامج الطفولة ما لم اتعلمه من أحد

ان يعيش الانسان حياة صعبة، في ظروف مجافية تحول دون تطوره وحصوله على فرصة مناسبة ليظهر ويؤكد وينمي من خلالها قدراته، قضية تتطلب حدوث تغيير مهم في حياة الانسان يقوده الى ما هو مختلف حقاً. أما المختلف في حياة "فايزة عناتي" انها سمعت ذات يوم عن مؤسسة برامج الطفولة، من احدى معلمات روضة اطفال الأقصى في مخيم شعفاط .

قالت لها المعلمة : **"هناك مؤسسة تعقد دورات وتنظم نشاطات وفعاليات مفيدة للمجتمع بشكل عام وللمرأة والطفل على وجه الخصوص".**

كان وقع الخبر على "فايزة"، كما البلسم الذي يخفف من الم الجرح، توطئة لشفاء ينهي المعاناة، حيث سارعت الى المؤسسة تطلب الالتحاق بدورة تمكينية، ففتح لها برنامج الام الدليل ابوابه لتدخل بالتالي مرحلة جديدة ومفصلية في حياتها.

وعن تجربتها في الدورة تقول فايزة:

"تعلمت كثيراً من هذه الدورة. تعلمت اصول التعامل مع الطفل، واستفدت من معلومات مهمة تخص التغذية. واكتشفت انني كنت اتعامل بأساليب خاطئة مع اولادي، وقمت بتصويب الأمر باتباع وسائل تربوية حديثة، بعيدة كل البعد، عن العقاب الجسدي والعنف. والتغيير طال أيضاً علاقتي بزوجي، إذ أصبحت اعتمد أسلوب الحوار والنقاش الهادئ لحل اي اشكال، بمعزل عن الانفعال والنرفزة

وردات الفعل السريعة وغير المدروسة".

وتسترسل فايزة في حديها عن مدى استفادتها من الدورة قائلة :

"وبالتركيز على علاقتي مع زوجي، انا في الاساس ولدت وتربيت في قطاع غزة، وقد عشت ظروفاً صعبة في الطفولة، وكنت أميل نتيجة لهذه الظروف، الى القوة، اي ان كل شيء يمكن الوصول اليه عن طريق ان اكون صلبة وخشنة، لكي لا ينال الآخرون من حقوقي او يضطهدونني، الا انني اكتشفت ان القوة لا تعني الخشونة والتعامل بشكل فظ مع الناس، لأن قوة الشخصية تنبع من الهدوء والقدرة على الاقناع. كنت في البداية لا اتقبل من زوجي أية ملاحظات او انتقادات تتعلق بعائلتي، حتى لو كان احد افراد العائلة قد ارتكب خطأً. والآن أصبحت انظر للأمور بموضوعية، حيث يتحتم عليّ وضع الاصبع على الخطأ والاشارة اليه وتشخيصه بغية ايجاد الحلول ".

العمل في الميدان

ومن الدورة الى ميدان العمل ، حيث التعامل المباشر مع النساء. والاستماع الى مشكلات ومعاناة الآخرين ، ومحاولة تقديم التوجيه المناسب ، بالاستناد الى ما تعلمته من برنامج "الأم الدليل" .

تصف فايزة تجربتها في الميدان على النحو التالي :

"في البداية واجهتني صعوبات جدية، فالبيئة في المخيم معقدة ومتشابكة، بخاصة وانني كنت سابقاً لا دراية لي في التعامل مع الرجال او مجموعات نسائية واسعة. من شهر الى آخر أصبحت اقترب من واقع الناس، أتحسس همومهم واعيش تطلعاتهم، واخذت اشارك في الحلول، واتقدم باقتراحات تربوية. وكنت احاول عن بعد استشارة امي في بعض الامور، انطلاقاً من تجربتها الحياتية الغنية، كونها عملت في سلك التمريض مدة طويلة ولها تجاربها في التعامل مع قطاعات مجتمعية مختلفة.

ومن خلال هذه التجربة، تغيرت نظرتي ايضاً لدور زوجي، إذ كنت اعتقد انه كرجل لا يعرف بأمور التربية الجنسية فيما يتعلق ببناتي، واكتشفت ان الرجل يستطيع مساعدة زوجته في هذا المجال، ويجب عدم حصر المسألة ضمن مهمات

المـرأة وحدهـا. من المفـروض في رأيي ان يضطلـع الرجال بدور فـي تثقيف بناتهم وتوجيههن لتتكامل العملية. لقد اصطدمت في الميدان بمشـكلات اجتماعية معقدة، فالضـرب والعقـاب الجسـدي هـو السـائد، واعتـداء الأهـل علـى الاطفـال ظاهـرة مسـتفحلة. لكن تعلمت في حقل العمل ان اواجه اية مشـكلات مهما كانت وبصرف النظر عن الطرف المتسبب".

على مقاعد الدراسة في الجامعة

ومن نجاح الى نجاح تستمر حياة فايزة، فقد انفتحت شهيتها على تحقيق مزيد من الانجازات، فبعـد دورات "الأم الدليـل"، والانخـراط فـي تجربة ميدانية ارشـادية مع النسـاء، قررت الالتحـاق بالجامعة لتعميق تحصيلها، فاختارت تخصص الخدمة الاجتماعية، لقناعتها ان مسـاعدة الاسـرة في محيطها باتت تشـكل لها اسـتراتيجية مهنية ومجتمعية . وقد اكدت ان مجموعـة مـن العوامـل سـاعدتها وحفزتها علـى الالتحـاق بالجامعة، ومنهـا قراءاتها ودوراتهـا التدريبيـة، تشـجيع زوجها، حيـث كانت الـدورات التي شـاركت فيها عاملاً مساعداً في التفاعل مع مساقات تخصصها الجامعي، بل والتميز . فهي لم تأت من فراغ، وانما انطلقت من اساس تربوي وارشادي مكنها من فهم واستيعاب متطلبات الجامعة .
وتتطلـع فايـزة التي توشـك على انهاء دراسـتها الجامعية، الـى العمل في برامـج الفتيات المراهقـات لتوعيتهـن كأخصائيـة اجتماعيـة تجمـع بـين التجربـة العمليـة والتحصيـل الاكاديمي .

امرأة مؤثرة

" اليـوم ينظـر لي محيطي الاجتماعي كامرأة واعية مثقفة، تحب مسـاعدة الناس، وتسـتطيع التأثيـر في وسـطها، وتقديـم النصح والارشـاد والتوجيه لمـن يحتاج ذلك.

لم اتردد يوماً في القيام بواجبي، بل اشـعر بالسـعادة حينما انجح في حل مشكلة، او التخفيـف مـن معانـاة امرأة. ولا ابالـغ اذا قلت ان كثيراً من النسـاء في المخيم قد التحقن بدورات تربوية وتثقيفية، بسـبب تحفيزي لهن. النساء ينظرن اليّ كقدوة وانا عاهدت نفسـي على ان اكون قدر هذا الاحترام والمسـؤولية الملقاة على عاتقي. انني مدينة لبرنامج الام الدليل، ومؤسسـة برامج الطفولة، واحاول ان اكون وفية

لمن قدم لي العون وارشدني إلى الطريق الصحيح. ومن خلال عضويتي في الهيئة الادارية لمؤسسة البرامج، اجد لزاماً عليّ العمل باخلاص، واشارك بكل امكاناتي لكي اكون ايجابية متفاعلة في مؤسسة تقدم خدمات مجتمعية تستحق منا جميعاً العمل بأقصى ما نمتلك من طاقات . كيف لا ومجتمعنا الفلسطيني، وبخاصة المهمشات فيه، بحاجة الى عملنا ومبادراتنا وبرامجنا".

ميسر أبو لبن:

مدرسة التعلم مفتوحة الأبواب على امتداد العمر

تحاول استثمار الزمن والاستفادة من كل دقيقة، فقد تعلمت ان كل يوم يجب ان يحمل اليها خبرات جديدة، فلا مجال للتوقف والانتظار. ان خوض التجارب بروح وثّابة متحدية، شغوفة بالمعرفة، يُشكل منطلقاً للمربية ميسر أبو لبن في حياتها المفعمة بالأمل.

النجاح ليس على حساب البيت

هي أُم لخمسة أبناء، أكبرهم في السنة الجامعية الثالثة، وأصغرهم (١٤) عاماً. وتتحمل مسؤولياتها تجاه كل واحد منهم، تتابع وتوجه وتحفز، اضافة إلى أنها شريك اقتصادي في توفير متطلبات الأسرة، من خلال الدخل العائد من مردود عملها.

تقول ميسر: «**ادركت مبكراً ان عليّ الخروج للعمل والتعلم والاسهام الإيجابي في خدمة أبناء شعبي. فاهتمامي بأُسرتي ورعايتها، لا يعني المكوث بين جدران البيت، حيث ان تقسيم الوقت ضمن رؤية عملية، يمكن ان يحل أي تعارض بين متطلبات الأُسرة، ومتطلبات العمل في الخارج. التحقت بدورات كثيرة، وحققت نجاحات في ميادين مختلفة، وأُمارس دوري المجتمعي الآن بشكل مكثف، لكن ذلك لم يكن بأي حال من الأحوال على حساب أي فرد من أفراد أُسرتي**».

الفرصة

وبخصوص علاقتها بمؤسسة برامج الطفولة، وكيف استفادت من هذه العلاقة، لصالح تطوير امكاناتها وقدراتها، فقد عبرت عن ذلك قائلة: «**إن تربية الاطفال والعمل في هذا المجال، كان دافعه في الاساس حبي للطفولة وانشدادي لعالمها، إذ بدأت اتعلم**

مواضيـع لها علاقة بالطفولة وكيفية الاعتناء بالطفل عن طريق التلفزيون، الى ان التحقت بدورة مربيات في مؤسسـة البرامج، لأكتشـف ان هـذه الدورة قد اعطتني كثيـراً في مجال الطفولـة، وقربتني علمياً وتربوياً من الطفل، لأن الرغبة في العمل مـع الاطفـال وحدها لا تكفـي، فالمطلوب صقـل هذه الرغبـة وتوجيههـا وتطويرها بالدراسة والممارسة العملية.
تعلمـت مـن الـدورة اسـاليب تربويـة حديثـة، وتعلمـت أيضـاً العمـل مـن خـلال مجموعـات، اضافـة الـى تنميـة مهاراتي في مجـال الالعـاب والوسـائل التربويـة. وباختصار شديد اقول تعلمت من الدورة كل شيء، وفي مقدمة ذلك الثقة بالنفس، والعطـاء بلا حدود. الآن انا اعطي وأشـعر بسـعادة غامرة، حينمـا أرى نتائج هذا العطاء، على الاطفال وذويهم، وكل من يحتاج لخبرتي».

تنوع في العمل والابداع

انطلقت ميسر تعمل من ميدان الى ميدان، ومن مجال الى آخر، حيث الرغبة الشديدة في العمـل والانجاز، فعملت مستشـارة لتحضير روضة «الهدى» في الطور، واشـرفت على كل شـيء، حتى تسـنى تجهيز هذه الروضة بشـكل ملائم، مع مراعـاة الاصول والقواعد البيئية والتربوية. ثم انطلقت تعمل مع الأمهات، تقدم لهن الارشـاد والتوجيه في تنشـئة أبنائهن تنشـئة سـليمة. وبعد ذلك اختيرت مـن عدد من المركزات والمشـرفات التربويات للعمل كمرشـدة في مدرسة المأمونية، وهي تقوم بإرشاد وتوعية الصفين العاشر والحادي عشر.
ولم يتوقف طموح ميسر عند مرحلة بعينها بل التحقت بكلية «دافيد يلين» وحصلت على شـهادة دبلوم، وعملت بعد ذلك مرشـدة سـياحية والتحقت بدورة متقدمة في الكمبيوتر ثم دورة توجيه مجموعات وهي تعمل أيضاً مركزة للمسنين.

وعن تعدد هذه المجالات والخشية من التداخل على حساب التخصص في مجال الطفولة، فقد شرحت رؤيتها للأمر بأُسلوب مشوّق ومقنع:
«الحيـاة لا يمكـن تفصيلها في خانـات وصناديق مقفلـة، بحيث أقول أنـا أعمل في هـذا المجال فقط، وليس لي علاقـة بمجالات أخرى. فالعمل المجتمعي متداخل، وكل الميادين تتعلـق ببعضها بعضـاً، فمثلاً تربية الأطفـال، لا يمكن فصلهـا عن العمل

التربـوي مع الأمهات وارشــادهن، بل ان توعية الأُمهـات قضية جوهرية في العمل مـع الطفل. كما ان عملي مـع الاطفال، افادني تماماً في العمل في المدرسـة المأمونية مع صفين دراسـيين في عمر حسـاس، فلكي تعرف تماماً متطلبات هذه المرحلة، من المفـروض ان تعـي مرحلـة الطفولة التي تشـكل أساسـاً لكل المراحل، وهـذا ينطبق لاحقاً على العمل مع المسنين.

أما الارشاد السياحي، فأعطاني معرفة بالمكان وتاريخه، وطور أُسلوبي في الشرح والاقناع ونقل المعلومات التاريخية بشكل دقيق. أجل هذه الابعاد مجتمعة طورت شخصيتي وعمقت معارفي، وجعلتني أتحدث وأشرح بأُفق أوسع..».

حينما يكون التعلم مفتوحاً على امتداد الحياة

ربما استطاعت ميسر ان تختزل تجربتها في قصة نجاح انسانية مكثفة ، إلا ان أية قصة نجاح لو أردنا ان نعطيها حقها ، فإن كل يوم فيها يحتاج الى صفحات من التوثيق ، لأنه يتضمن عملاً ومبادرات ومواقف وتفاصيل كثيرة . فكيف الحال بامرأة تناضل في البيت والروضة والمدرسـة وفي مجال الارشاد السـياحي والعمل مع المسنين ، جنباً الى جنب مع اصرارها علـى الالتحاق بمزيد من الدورات التثقيفية والتطويرية بهدف تنمية القدرات لتكون الحياة بالنسبة الى ميسر مدرسة مفتوحة على امتداد العمر .

ميسون خويص :
تنتزع الفرح من بين انياب البؤس

«بعد طلاقي شعرت ان الناس ينظرون اليّ نظرة ريبة، ويتساءلون عن سبب الطلاق، صرت امشي في الشارع وأنا انظر الى الأرض، اتحاشى عيون الآخرين، وفي كل يوم أتمنى لو لم آت الى هذه الحياة، لأني لا استحق هذا الألم وهذه المعاناة التي طحنتني».

بهذه الكلمات الموجعة، الطافحة بالحزن، استهلت «ميسون محمد خويص» حديثها، وهي تستعرض فصولاً من تجربتها الحياتية، بخاصة وانها تجرعت مرارة الزواج المبكر بما له من تداعيات جسدية ونفسية خطيرة.

زواج مبكر

وتسترجع ميسون ظروف زواجها، الذي سيقت اليه وعمرها لا يتجاوز الخمسة عشر عاماً، فيما تقول: «**لم اكن اعرف ما هو الزواج، وما الذي ينبغي عليّ فعله، وما معنى الانتقال من بيت أهلي، الى بيت آخر. لم آخذ فرصتي لكي أتهيأ لذلك، فقد تمت الخطبة والزواج في شهر واحد، وسألت أمي اسئلة تتعلق بالزواج ودوري، لكنها قالت لي ستعرفين كل شيء بنفسك حينما تتزوجين، وحتى عندما كنت الحّ عليها لأعرف بعض المعلومات عن الزاواج، كانت تؤكد انني سأعرف كل شيء مجرد ان انتقل الى بيت زوجي....**».

وكان انتقـال ميسـون الـى بيـت زوجهـا ، بمثابـة نقلة حياتيـة مختلفـة ، حملت كثيـراً من المفارقـات ، فالمطلـوب مـن طفلة فـي عمرهـا ، ان تتحمل مسـؤوليات اجتماعيـة كبيرة . ورغـم انهـا لـم تكن مسـتعدة لذلك جسـمياً ونفسـياً ، الا ان اصرار الاهـل كان اقوى من تخوفهـا وترددهـا . قالوا لهـا : إن مصير الفتاة الـزواج ، وان الزواج «هو سـترة للبنت» ، وسـواء تزوجت الفتاة في وقت مبكر ، او تأخر زواجها ، فإن النتيجة في المحصلة النهائية هي الزواج ، فلماذا لا يتم ذلك حينما يطرق «النصيب» الباب؟! .

من «الحجلة» الى المطبخ

من المفارقات التي روتها ميسون ، ان الزواج كان مفاجئاً بالنسبة اليها . كانت طفلة تلهو مع صديقاتها ، تلعب «الحجلة» وبقية الالعاب التي تمارسـها الفتيات في سنها . وكانت تتمتع في اللعب ، معتقدة ان الحياة هي ساحة لعب مفتوحة . لكن ابواب اللعب قد اوصدت في وجهها . لتجد نفسها ملزمة بأعمال مطبخ لأسرة ممتدة ، حيث مطلوب منها القيام بجميع الاعمال المنزلية ، فما ان يشقشـق الفجر حتى تجد نفسـها منتصبة في المطبخ تغسـل وتحضر وتطبخ ، فلا مجال للتوقف عن العمل لحظة واحدة ، الزمن يطاردها ، والعائلة تطاردها ، وواجب الزوجة حسب مقاسات المجتمع تضغطها . كانت في سباق مع الزمن ومتطلبات العائلة والواجب الاجتماعي .

طلاق في الطفولة

لم يصمد الزواج سـوى سـنتين ، هذا ما اكدته ميسون ، بمعنى انها تزوجت طفلة وتطلقت وهـي ايضـاً فـي مرحلـة الطفولة حسـب التحديـد العالمـي لمرحلـة الطفولـة ، (اي الثامنة عشرة) .

وتعترف ميسـون ، انها فاتحت أمهـا برغبتها في الانفصال ، منذ الشـهر الأول ، لكن ذلك وقـع علـى رأس امها كالصاعقة ، قالت لها «هل تريديـن الطلاق ، الا تعرفي ان المطلقة لا يحترمها الناس ولا يحترمون اهلها»!!! .

وعـن معاناتهـا جـراء ذلك تقـول : «وامام موقف امي كنـت اتراجع ، احـاول ان اصمد ، لكنـي لم اتأقلم مـع التجربة من جميع النواحي ، كنت اشـعر بالظلم ، صديقاتي يواصلن تعليمهـن ، وانـا مطالبة ببذل جهـد كبير من أجل زوجي وأهله ، وفـي احيان كثيرة ، قلت

لنفسي لماذا لا احاول الاقتراب من زوجي، لعله يتفهم معاناتي ويخفف عني، الا انني لم افلح في ذلك. واصبحت الهوة تتسع بيننا يوماً بعد يوم.
كانت الضغوط النفسية تصاحبني في الليل والنهار، اخذت اتحدث الى نفسي، واشكو همي الى الله، الجأ اليه، لكي ينقذني من حياة لم اخترها. ولم يتفهم اهلي معاناتي، بل ان وصفتهم الجاهزة لي لا تتعدى كلمات، اصمدي، الناس، المجتمع، العيب، المطلقة... الخ.

الى ان عدت يوماً الى منزل أهلي، انزويت في احدى الغرف، وامتنعت من تناول الطعام، حاول الأهل التخفيف عني، لعلي اعود الى زوجي، لكني ابديت اصراراً منقطع النظير، واقسمت ان لا اعود، حتى لو كلفني ذلك حياتي. ولما ايقن الأهل أن لا فائدة، وأن هناك ثمناً باهظاً لعودتي. وافقوا على وضع حد لمعاناتي، والبدء بإجراءات الطلاق. ومن اجل ان انل حريتي الاجتماعية، تنازلت عن حقوقي المادية، فلا مادة مهما كانت، توازي شعوري بقدرتي على اتخاذ قرار مصيري، يحررني من حياة أُجبرت عليها، ولم اخترها في الأصل!!.

مؤسسة برامج الطفولة تفتح لها باب الأمل

وتمضي ميسون في حديثها فاتحة صفحة جديدة، فيها بريق من أمل:

«وإذا كان الزواج المبكر صعباً وقاسياً، فإن نظرة المجتمع للمطلقة هي أشد قساوة. كانت صدمتي الكبيرة منذ اليوم الأول للطلاق، فقد بدأ همس الجيران وتساؤلاتهم، ثم اصبحت محطة مراقبة من قبل الجميع، وكأن كل فرد في المجتمع اصبح مسؤولاً عني، ومن حقه ان يقيّم حركتي، ويطلق عليّ ما يشاء من احكام. الأمر الذي اشعرني بالقلق والخجل الدائم، الى ان سمعت من بعض الزميلات في جمعية الطور، عن مؤسسة برامج الطفولة، بما تقدمه من خدمات مجتمعية. وعلى الفور توجهت الى المؤسسة وشاركت في دورة تأهيل فتيات، وتعلمت طرق الاتصال والتواصل، وكيف اعزز ثقتي بنفسي، وأشق طريقي دون الالتفات لأية معوقات من شأنها ان تشدني الى الخلف.

وفرت لي الدورة امكانية الاحتكاك بفتيات اخريات، لديهن تجاربهن ومعارفهن، وهذا حفزني للمشاركة في نقاشات من خلال طرح رأيي، والتعبير عما يجول في داخلي. جعلتني هذه الدورة بالفعل انظر الى الامام، واحاول الامساك بخيوط تربطني بالمستقبل. بعد ذلك شاركت في دورات اخرى مثل برنامج «العب وتعلم» وعملت في البداية في هذا البرنامج كمتطوعة من خلال المدارس، ثم اثبت نفسي واصبحت موظفة في البرنامج وهذا اعطاني دفعة قوية الى الامام.

المشاركة في برامج المؤسسة عرفتني على مؤسسات اخرى كجمعية الشبان المسيحية، التي التحقت فيها بدورات تربية الطفل، تدبير منزلي، الحاسوب، وكذلك دورة خياطة. والحقيقة ان هذه الدورات مجتمعة اسهمت في توسيع آفاقي، وجعلتني انظر للحياة نظرة متفائلة طموحة.

لقد خرجت بفضل مؤسسة برامج الطفولة من حالة الانكسار والتقوقع التي عشتها بعد الطلاق، وأخذت اشعر بوجودي وقدرتي على افادة نفسي، والتأثير الايجابي فيمن هم حولي، وصرت مثالاً حسناً لكثير من الفتيات اللواتي اخذن يحتذين بتجربتي. ومع ان عملي في برنامج «العب وتعلم» ساهم في تحقيق استقلاليتي الشخصية اكثر من استقلاليتي الاقتصادية، الا انني لا زلت اعمل فيالبرنامج بمتعة واخلاص منذ عشر سنوات. ولا يوجد في الدنيا ما هو اجمل من زرع الفرح والابتسامة على وجوه الاطفال الذين يأتون اليّ مبتهجين يغمرهم الفرح والثقة نتيجة حصولهم على تقدير أكاديمي او اجتماعي».

فتاة جديدة

وحول علاقتها مع الاهل بعد انخراطها في النشاط من خلال مؤسسة برامج الطفولة، اوضحت ميسون **«ان العلاقة أخذت مساراً ايجابياً مختلفاً عن السابق. وبدأ اهلي بوجودي وقدرتي على الحركة والتفاعل. لقد انقلبت الأمور رأساً على عقب، فبدل الخوف عليّ، اصبح الاحترام هو الذي يضبط وينظم العلاقة».**

تحولت الى انسانة حقيقية تستطيع ان تبدي رأيها في اسرتها، والجميع يتشاور معي ويستمع الى ما أقول. وعندما مرضت امي وقفت الى جانبها وقدمت لها الرعاية اللازمة، الى ان توفاها الله. واليوم اقوم برعاية والدي المريض، والذي هو

بدوره يستشيرني في قضايا مهمة لها علاقة بحياة الاسرة ومستقبلها.
كلمتي الآن مسموعة واخوتي واخواتي يحترمونني، ويعترفون انني بنيت نفسي من الصفر، وانتقلت من مرحلة الانتصار الى مرحلة بناء شخصيتي الاجتماعية والمهنية».

زواج التفاهم والتكافؤ

وبعد هذه السنين من المعاناة والعمل على بناء الذات وتطويرها، تلخص ميسون نظرتها الى الزواج على النحو التالي: «**اعتبر ان الزواج الذي لا يقوم على الحب والتفاهم والانسجام، سيظل مرشحاً للانهيار. وان الزواج الذي يقوم على الاكراه والفرض يحوّل حياة الاسرة الى جحيم، بخاصة حياة الزوجة. في ظل المفاهيم الاجتماعية السائدة التي تجعل الصلاحيات والقرارات حكراً».**

وتختم ميسون حديثها بخصوص الزواج: «**انني لا افكر بأي حال من الاحوال بتجربة زواج ثانية اذا لم تقم على اساس متين، واذا لم يكن الحب والتفاهم الحافز على الزواج، اذ لا احبذ فكرة الزواج من اجل الزواج فقط، او الزواج من اجل مسايرة المجتمع والناس، اطمح بزواج مفتاحه الحب والانسجام، واي مفاتيح أخرى لا تعنيني».**

انهت ميسون حديثها مكثفة قصتها مع الحياة، لكن القصة لم تنته بعد لأن فصولها ما زالت مفتوحة، وسوف تتابع، لكن ميسون اليوم غير ميسون الأمس، انها انسانة جديدة بكل المقاييس.

نسرين صيام:

مؤسسة برامج الطفولة اخرجتني من حالة الصمت

أصرت قبل البدء في سرد مراحل تجربتها، بغية التوقع مع نجاحها، واستخلاص العبر منه، لعل ذلك يحفز نساءً أخريات في مجتمعنا للسير على درب النجاح، قبل كل ذلك قالت نسرين: "احب ان افتتح هذا اللقاء الذي هو بمثابة مبادرة تشجيعية من قبلكم، للتأكيد على ان دورات مؤسسة برامج الطفولة، شكلت نقلة حياتية خاصة جداً في حياتي، لأنني من خلالها استطعت أن اخرج من دائرة الصمت المطبق، الى ميدان العمل والانتاج. فقد تمكنت في هذه التجربة، ان اشارك واعبر عن ما يدور في تفكيري، استمع الى الآخرين، وارد على ما يطرحون، وأُسر عندما المح في وجوههم علامات الاستحسان.. كنت فتاة صامتة خجولة، تحسب الف حساب لكل كلمة، وماذا يكون تأثيرها على الآخرين. الا ان الدورات كسرت بالفعل القيد عن لساني، واطلقت العنان لقدمي لكي اتحرك وانشط في الميدان".

وداعاً للصمت

ليس دائما الكلام من فضة والسكون من ذهب، فأحيانا السكوت اذا استمر طويلاً يشكل حالة انسحاب سلبي، ويقود الى التقوقع على الذات. كانت نسرين تعاني من الصمت، وتتمنى الخروج من بين جدرانه، وقد نجحت.. كيف؟:

«لقد حدثت لي مشكلة جدية مع احدى صديقاتي، شعرت بالغدر، ولجأت الى الصمت. ولفت صمتي انتباه الجميع. حاولت التغلب على ذلك، لم استطع بقدراتي الذاتية، الى ان شاركت في دورات مؤسسة برامج الطفولة. في البداية كنت مستمعة، لا اشارك، مع

ان لديّ الكثير مما اقوله . لكن سير النقاشات واجواء الدورات ، ساعدني وحفزني على المشاركة . إذْ شرعت اعبر عن ذاتي ، وهذا اكبر انجاز بالنسبة اليّ ، حيث توالت بعد ذلك الفوائد ، من معارف ومهارات .
ان ما حصّلته من الدورات كان له بالغ الاثر على حياتي بشكل عام ، حيث تمت خطوبتي في تلك الفترة بطريقة تقليدية وبتشجيع من الاهل ، لأكتشف بعد ثلاثة شهور ، ان عليّ ان احسم أمري واقرر مستقبلي ، وان لا اظل متلقية ، افعل كما يريد الآخرون . انتهت هذه التجربة بعد ان اخترت ان اكون صاحبة قرار ، وان اختار ما يناسبني وينسجم مع توجهاتي» .

العمل في برنامج «العب وتعلم»

«بعد سلسلة دورات ، وبعد ان تعمقت في برنامج العب وتعلم ، وعرفت مفاتيح التعلم من خلال اللعب ، وطبقت ذلك مراراً على الاطفال ، تأهلت للعمل في هذا البرنامج ، وبالفعل عملت مدة سنتين ، حيث امدتني هذه التجربة بالقوة والثقة بالنفس ، اضافة الى انها وفرت لي دخلاً مادياً ، واصبحت اعيل نفسي ولا اعتمد على أيّ من افراد اسرتي . وخلال ذلك تعلمت السياقة واشتريت سيارة . وبالفعل لقد تفتحت الخيارات أمامي ، وعملت بعد ذلك في روضة أطفال ، ثم انتقلت للعمل في الكلية الابراهيمية في مجال الاطفال ايضاً . وانتقلت بعد ذلك الى روضة جبل الزيتون ، وانا اليوم مسؤولة قسم الاطفال» .

الزواج بالاختيار

وبعد هذه التجربة التي اكدت فيها نسرين انها قادرة على العمل والنجاح والتميز ، وبعد ان غيّرت مسار حياتها ، وباتت لا ترضى بالمفروض والجاهز ، صار كل شيء يرتبط بقناعتها واختيارها ، لتتوج هذه التجربة بزواج من شاب اختارته عن قناعة .

وحول ذلك تقول :
«أجل فاختياري هو اختيار ناتج عن وعي ، فما كان يناسبني من قبل ، لا يلائمني الآن . لذلك فإنني اعيش سعادة حقيقية في زواجي ، انطلاقاً من القناعة ، إذْ استخدم جميع المهارات التي تعلمتها من المؤسسة ، لادارة حياتي الزوجية . أنا في منتهى الانسجام مع

زوجـي وأهله، ولولا هذا الانسـجام والدعـم الذي اتلقاه منهم، لا اسـتطيع التقدم بهذه الوتائر السريعة في عملي وحياتي عامة».

وبعد

انها تجربة نجاح ليس على المسـتوى العملي والمهني فحسـب، وانما على مدى مسـتوى بناء الشـخصية الاجتماعيـة وبلورتهـا وصقلهـا، لتغدو مؤهلة لاتخـاذ القـرارات التي ترتبط بالحياة الانسانية الفردية من جهة، ولتكون قادرة على الاسـهام في خدمة المجتمع بشكل عام.

نسـرين وجدت في دورات برامج الطفولة فرصتهـا، فالتقطتها بعناية وحرص، تغيرت، وها هي تحاول احداث التغيير في مجتمعها، ابتداءً من الطفل، وأليست الطفولة هي اللبنة الاساسية للمجتمعات البشرية، اذا صلحت فإن البناء المجتمعي سيتأسس قوياً متيناً.

هناء صافي:

يحق لها الاحتفاء بنجاحها

هنـاك فتيـات يغلق الزواج عليهـن الابواب، ويقيـد حركتهن وتفاعلهن مـع مجتمعهن، ويجعل طاقاتهن محصورة في الاهتمام بالزوج والاولاد، في عملية نكران للذات. فيما هناك فريق آخر من الفتيات، يشكل الزواج انطلاقة جديدة لهن، لكي يثبتن ان بمقدورهن تقسـيم الوقت بين البيت والتعلم والعمل، واحراز النجاح دون ان يأخذ مجال من حصة الآخـر. هـذا مـا اكدته تجربة هنـاء صافي، وهـي من مواليـد الاردن، تزوجـت وانتقلت الـى السـكن فـي رام الله، بينما لم يتجـاوز عمرها حينـذاك الـ(١٧) عامـاً. هناء تقدمت لامتحانـات الثانوية العامة وهـي متزوجة، ثم التحقت بالجامعة تخصص ادارة الاعمال. لكـن علاقتها مـع رياض الاطفال والتربية، بدأت من خـلال ابنتها، حيث اخذت تتابعها في الروضة، وتتفاعل مع المعلمات والاطفال، لتجد نفسها وقد اقتربت يوماً بعد آخر من عالم الطفل واصبحت مشدودة للطفولة بكل تفاصيلها.

العلاقة مع مؤسسة برامج الطفولة

نصحتهـا احـدى المعلمات، ومن اجـل تطوير قدراتها وتنمية مهاراتهـا، ان تلتحق بدورة لتدريب معلمات رياض اطفال تعقدها مؤسسة برامج الطفولة. وقد أخذت بدورها بهذه النصيحة، لتجد ان الدورة شكلت لها تربة خصبة على طريق التطور والابداع...

وتصـف هناء هذه التجربة قائلـة: «كانت تجربة مثمرة بكل المقاييس، تعلمت منها مفاهيم ومعلومات كثيرة حول الطفولة، وكيفية التعامل مع الطفل. تعلمت الاصغاء للآخرين،

والمشـاركة في الحوارات البناءة، واسـتخلاص النتائج والبناء عليها. وتعلمت ايضاً عمل الدمـى وطريقة اسـتخدامها في تعليم الاطفال، حيث انعكـس ما حصلته في الدورة على الروضة وعلاقتي بالاطفال. أما الأهل فأصبحوا ينظرون اليّ على اعتبار أنني متمكنة في هذا المجال، تستطيع ان تقدم لابنائها ما يساعد في تأسيسهم بشكل صحيح».

مديرة روضة

وعـن تأثيـر الدورة على مسـارها المهني تقول: «كنـت في البداية معلمـة عادية، يغمرني الحمـاس للمهنـة وحبـي للاطفـال. الا ان مـا حصلتـه مـن الـدورات في مؤسسـة برامج الطفولة، قد اعطاني ابعاداً مهنية تسـتند الى أُسـس تربوية. فأن تكون متحمسـاً لمهنتك، هـذا ايجابـي بحد ذاته، لكن اذا ترافـق الحماس مع العلم وفهم مبادئ تربوية واسـتيعابها وتطبيقهـا، فـإن العملية هنـا تتكامل، وهـذا ما حصل معـي حقيقة. لفت تطـوري انتباه المعنيـين لأجد نفسـي وقد أصبحت مديـرة للروضة. حيث ركزت علـى البنيتين الخارجية والداخليـة للطفل، مـن خلال تنظيم الانشـطة الملائمة واحضار الالعـاب التي تتلاءم مع طبيعـة الطفل واحتياجه. أسـهمت بشـكل ملمـوس واقولها بتواضع فـي تطوير الروضة وفي تقوية وتدعيم علاقة الأهل اليومية بها، فزاد الاقبال عليها».

كلنا نتطور

«عندما بدأت العمل كان تحصيلي التعليمي ثانوية عامة، وكانت تجربتي الميدانية محدودة، لكنني قررت ان ارتقي بواقعي، فالتحقت بالجامعة، ثم التحقت بالدورات المتعلقة بالطفولة والتربية.

فـي البداية شـعرت ان التوفيق بـين العمل الخارجي والاسـرة، لا يمكن ان يتحقق، خشـية ان ترجـح كفة احد طرفي المعادلـة على الأخرى. لكن الـدورات المتخصصة في تمكين المربيات، افادتني ليس على مسـتوى الطفولة فحسـب، وانما أيضاً على صعيد توسيع الآفاق واغناء المعارف، وكذلك أهمية توزيع الوقت واستثماره معاً، فصرت قادرة على التوفيق بين العمل والاهتمام بأبنائي وزوجي. بل ان ما حصلته مـن معارف ومفاهيم ومهارات تربوية، انعكـس ايجاباً على بيتي، فأخذت علاقتي بأولادي تترسـخ بخاصة عندما احسـوا انني اتعامل معهم كصديقة. استمع اليهم

باصغاء، اتفهم مشـكلاتهم، واقوم بتوجيههم بأُسلوب هادئ بعيداً عن العنف. كما ان علاقتي بزوجي تطورت من خلال الحوار وتبادل الآراء والتكامل في الادوار».

هكذا اختزلت هناء قصتها مع النجاح، وهي قصة عمل ومثابرة، لكن فصول النجاح، ما زالت تتواصل تباعاً، من مرحلة الى أُخرى، مؤكدة ان الانسـان لديه طاقة جبارة من قوة الارادة، التي اذا ما تم توظيفها فإنها ستجسد في كل يوم قصة نجاح .

When Will Wins

Real Success Stories

Yusra Mohammad

2013

مؤسسة برامج الطفولة والعمل الجماهيري

trust@trust-programs.org

هاتف: 02-6260836 | 02-2471883

عندما تنتصر الإرادة

قصـــص نجـــاح من الواقـــع

يسرى محمد

2013

مؤسسة برامج الطفولة والعمل الجماهيري

trust@trust-programs.org

هاتف: 02-6260836 | 02-2471883